د. بديع القشاعلة

لفتاتٌ في علمِ النفسِ



لفتات في علم النفس

لفتات في علم النفس

مجموعة مقالات للمؤلف د.بديع القشاعلة

أخصائي نفسي ومحاضر في الكلية الأكاديمية للتربية على اسم "كي" بئر السبع.

0509316282

أهدي كتابي هذا إلى:

أبي وأمي، زوجتي،

وأبنائي وبناتي

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

مقدمة

الحمد لله الذي لم يُستفتح بافضل من إسمه كلام، الحمد لله الذي جعل الحمد مستحق الحمد حتى لا إنقطاع، وموجب الشكر باقصى ما استطاع. الحمد لله المبين ايدَهُ، المتين كيده. الحمد لله معز الحق وناصره ومذل الباطل وقاصره. الحمد لله الذي اقل نعمه تستغرق اكثر الشكر. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، سليل اكرم نبعة، وقريع اشرف بقعة. محمد نبي الله وصفوته وخيرته من بريته مؤكد دعوته بالتأييد. خيرة الله من خلقه. وحجته في ارضه، والهادي الى حقه، أما بعد:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز : «وقل اعملوا فسيرى اللَّه عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إِلَى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون»(سورة التوبة، آية 105).

إن خير الكلام ما قل ودل، وان الايجاز في الكلام مع حفظ المعاني لهو ادعى واسلم. وإني وبعون الله موجز في المقدمة ما استطعت. لقد خُلق الإنسان وهو يسعى في الدنيا الى نيل الافضل والاحسن، وهو بطبعه يميل الى السعادة والبحث عنها. وقد جعلنا الله تعالى في أحسن تقويم، ويريد الله لنا دائماً أن نكون في افضل حال، صورةً وعقلاً. وقد بدأ الله كلامه فيها في القرآن الكريم بكلمة اقرأ. فالقراءة سر الوجود، واساس كل نمو وتطور. والامة التي لا تقرأ لا تفقه شيئاً ولا تعلم عن نفسها ولا خلقها شيء.

وفي هذا الكتاب ستكون بعون الله مجموعة من المقالات في مجال علم النفس والتي تتحدث عن مواضيع مختلفة ومهمة. أعتقد أن هذا الكتاب سيساعد الكثير من الناس على فهم العديد من المواضيع الهامة في علم السلوك. واتمنى من الله سبحانه وتعالى أن يجعلة في ميزان حسناتي يوم القيامة.

«ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»(البقرة، الاية 286). صدق الله العظيم

بديع عبد العزيز محمد القشاعلة

القدرة العقليّة

قياسها وعلاقتها بالمبنى الثقافيّ – النفسيّ

تمهيد

لقد قام الكثير من العلماء بدراسة وتعريف القدرة العقليّة. كلّ تعريف اتّخذ وجهة نظر علميّة مختلفة عن الأخرى ؛ فمنهم من ربط القدرة العقليّة بدرجات الذكاء (كيرك, 1979, جويلفورد, 1959 , لوسيتو , 1963, سمبتون ولوكنج وغيرهم), ومنهم من عرف القدرة العقليّة على أنّها المقدرة على التحصيل الأكاديميّ (نيولاند, 1976), وآخرون عرفوا القدرة العقليّة على أنّها إمكانيّة استخدام التجارب السابقة في حلّ موقف جديد .

إنّ القدرة العقليّة تتضمّن مهارات معرفيّة عديدة وتكوّن بدورها القدرة العقليّة العامّة أو الذكاء. المهارات المعرفيّة هي الاستيعاب , الإدراك , الذاكرة , الانتباه , التركيز , التفكير, الفهم , اللغة.

قام "ثرستون" (1938) بتقديم نظريّة حول القدرة العقليّة لدى الإنسان ، تشير إلى وجود سبع قدرات عقليّة أوليّة ، هي كالتالي:

- الفهم اللفظيّ.
- الطلاقة اللفظيّة.
- القدرة العدديّة.
- القدرة المكانيّة.
- القدرة على التذكّر.

- القدرة على الإدراك.
- القدرة الاستدلاليّة.

إنّ هذه القدرات العقليّة السبع تعطينا مجتمعة القدرة العقليّة العامّة لدى الفرد (الخالدي, 2003).

عرف "بينه" الذكاء بأنّه القدرة على استخدام التفكير التجريديّ في حلّ المشكلات (النجاحي, 2005) . أمّا "تيرمان" ، فيعرف الذكاء بأنّه قدرة الفرد على التفكير التجريديّ واستخدام الرموز المجردة . من جهته يقول "ثورندايك": ثمّة ثلاثة مستويات للقدرة العقليّة :

1- القدرة العقليّة التجريديّة: هي القدرة على فهم الأفكار .

2- القدرة العقليّة الميكانيكيّة: هي القدرة على تعلّم وفهم أشياء ميكانيكيّة ، مثل الآلات.

3- القدرة العقليّة الاجتماعيّة: هي القدرة على فهم سلوك الآخرين .

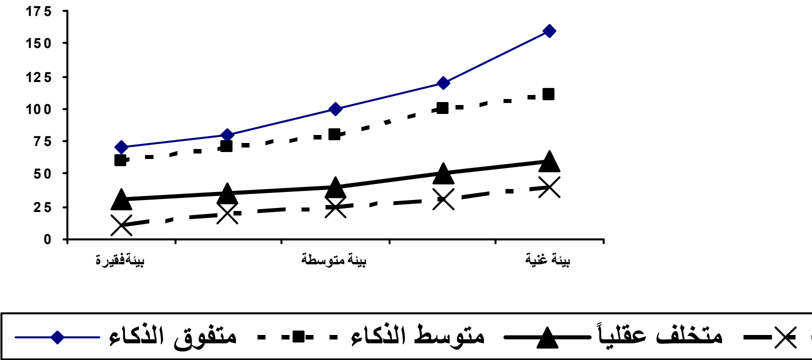
لقد اهتمّ العديد من الباحثين بدراسة مشكلة الإسهامات النسبيّة لكلّ من العوامل الوراثيّة والعوامل البيئيّة في القدرة العقليّة.

لقد أثبتت الدراسات أنّ للعوامل الوراثيّة تأثيرا كبيرا على الإنسان في مختلف جوانب حياته. وقد أشار (سونتاج , بكير , نلسون , 1958) إلى أنّ تقارب العلاقات الوراثيّة يؤدّي إلى تشابه في جوانب النموّ العقليّ . وأفاد (جنسن , 1969) في نظريّته عن الذكاء أنّ تأثير العوامل الوراثيّة على ذكاء الفرد يصل إلى 80٪ من أصل التباين الكلّيّ وأنّ النسبة الباقية 20٪ ترجع إلى البيئة (الخالدي , 2003) .

تعتبر البيئة الحيّز النفسيّ والاجتماعيّ الذي يعيش الفرد ضمن إطاره ويقع تحت تأثيراته ؛ فقد أشارت بحوث العديد من العلماء ، من بينهم (كرونباك , 1969) و (هنت, 1969) ، إلى أنّ التفاعل الذي يحدث بين الفرد وما يراه وما يسمعه في بيئته في سنين عمره يؤدّي إلى تغيّرات واضحة في تكوينه العقليّ (الخالدي , 2003). إنّ الحديث عن العوامل البيئيّة لا يقتصر على البيئة الاجتماعيّة والثقافيّة دون غيرها , بل يمتدّ إلى عوامل فيزيقيّة بجانب تلك العوامل , كحالة المثيرات الحسّيّة وتأثيرها على التكوين العقليّ .

فيما يلي رسم بياني "لسكار" (1971) الذي يبيّن لنا أثر البيئة على الذكاء (نقلاً عن الخالدي, 2003) .

رسم بيانيّ رقم (1) نسبة الذكاء



الإعاقة العقليّة :

إنّ الإعاقة العقليّة هي حالة إنسانيّة معقّدة وقد تمّ التطرق إليها منذ العصور القديمة بمختلف الاتّجاهات والآراء وكانت محاولات علاجيّة متنوّعة بتنوّع المجتمعات . لقد عرفت الإعاقة العقليّة منذ 2500 سنة (حايه عميناداف) . إنّ المعاقين عقليًّا يحتاجون في حياتهم إلى الرعاية في الكثير من المجالات الحياتيّة اليوميّة . هذا الأمر لا يختلف من مجتمع عن آخر .

لقد تعدّدت التعاريف حول مفهوم الإعاقة العقليّة ، وذلك لكونه مفهومًا معقّدًا يصعب تحديده. قام الدارسون بتحديد وتعريف الإعاقة العقليّة وفقًا لاتّجاهاتهم العلميّة ؛ فنجد التعريف الطبّيّ للإعاقة العقليّة الذي ينظر إليها من حيث الإصابات الوراثيّة والجينيّة والمرضيّة ويشير أيضًا إلى المظاهر الخارجيّة للإعاقة العقليّة (متلازمات) . ثمّة التعريف السيكومتريّ الذي ينظر إلى الإعاقة العقليّة من ناحية درجة الذكاء وفقًا لاختبارات الذكاء المتنوّعة . أيضًا نجد التعريف الاجتماعيّ الذي يشير إلى مدى تكيّف المُعاق عقليًّا اجتماعيًّا ، بينما يتطرق التعريف التربويّ إلى القدرة على اكتساب المهارات الأكاديميّة (فاروق الروسان , 2001) .

يقوم قانون الرفاء الاجتماعيّ للمعاقين عقليًّا في إسرائيل (1969) بتعريف الإعاقة العقليّة على أنّها عدم القدرة على التكيّف سلوكيًّا واجتماعيًّا نتيجة قصور في القدرات العقليّة ، ويهتمّ بتشخيص الإعاقة العقليّة من جوانب عدّة, مثل المجال التطوّريّ , القدرة العقليّة, السلوك التكيفيّ , الحاجة إلى العلاج والتفرقة بين الإعاقة العقليّة والمرض النفسيّ .

إنّ أسباب الإعاقة العقليّة متعدّدة وتعود في الأساس إلى عوامل بيولوجيّة وجينيّة بالإضافة إلى البيئة التي لها الأثر البالغ في تحديد الإعاقة العقليّة.

الإعاقة العقليّة والمرض العقليّ :

إنّ الكثير من الناس يختلط عليهم الفرق بين إنسان متخلّف عقليًّا وآخر "مجنون" ، كما نقول بالعامّيّة ، بينما المعنى العلميّ "للجنون" هو المرض العقليّ .

لقد ذكرنا تعريف الإعاقة العقليّة أعلاه ونستطيع بناءً على ذلك أن نقول : إنّ الإعاقة العقليّة هي انخفاض وتدهور في الوظائف العقليّة العامّة أو توقّف تطوّر ونموّ العقل ، ممّا يؤدّي إلى نقص معدّل الذكاء الذي لا يسمح للفرد بحياة مستقلّة وحماية نفسه منالأخطار العاديّة نتيجة نقص في قدراته العقليّة أو الفكريّة . وهي أيضًا حالة من عدم تكامل نموّ خلايا الدماغ أو توقّف نموّ أنسجته منذ الولادة أو في السنوات الأولى من الطفولة لسببٍ ما , وهي كذلك نقص في الذكاء الذي ينشأ عنه نقصٌ في التعلُّم والتكيُّف مع البيئة على أن يبدأ ذلك قبل بلوغ الثامنة عشر من العمر ؛ فالإعاقة العقليّة إذًا خللٌ في المقدرة العقليّة يحدث منذ الولادة أو في فترات الطفولة المبكّرة .

ثمّة درجات للتخلّف العقليّ ، هي كالتالي :

1. الإعاقة العقليّة الخفيفة.
2. الإعاقة العقليّة المتوسّطة.
3. الإعاقة العقليّة الشديدة.
4. الإعاقة العقليّة العميقة.

الإنسان المعاق عقليًّا هو ذلك الإنسان الذي يتوقّف نموّ عقله في سنّ مبكّرة ويستمر نموّه الجسديّ , الأمر الذي يخلق فجوةً بينعمره العقليّ وعمره الزمنيّ , فنجد أنّ المعاق عقليًّا هو طفلٌ في جسم بالغ .

أمّا بالنسبة للمرض العقليّ , فقد ينتج بسبب تغيّرات كيميائيّة أو تلف في الدماغ. والمصاب يتكلّم ويتصرف بشكل غير طبيعيّ ، ووظائفه العقليّة والجسديّة تكون في حالة غير طبيعيّة وبحالة اضطراب شديد .

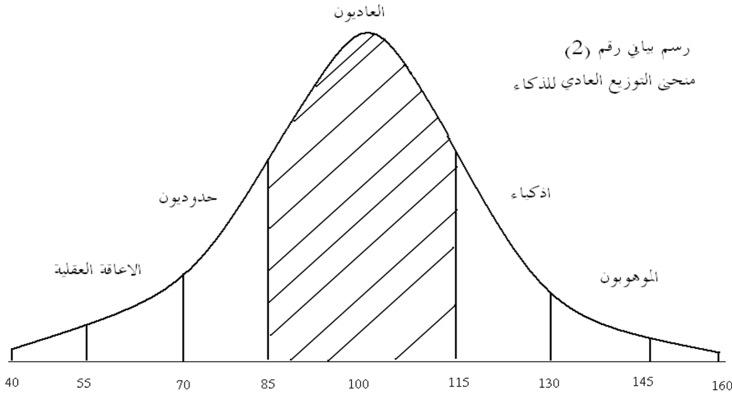
من أعراض الأمراض العقليّة : العزلة عن الناس والابتعاد عنهم , سماع أصوات غريبة , رؤية أشياء غير موجودة في الواقع , سلوك سلبيّ تجاه الأحداث , انعدام المسؤوليّة , إهمال في النفس والملابس والنظافة الشخصيّة , قلّة التركيز , وساوس وهميّة مرتبطة بشعور الفرد بالمخاوف والاضطهاد والظلم والحسد ممّن حوله , شعور بعدم فهم الآخرين, إحساس الفرد بأنّ الناس تتكلّم عنه بالسوء والمغالاة والغرور ، وينسب لنفسه شخصيّات عظيمة , مثل (أنا ملك عظيم) ، وحالات متعاقبة من الشعور بالحزن الشديد أو الفرح الشديد دون سبب مباشر , وحالات نشاط مستمرة غير عاديّة , وكثرة الكلام في مواضيع غير مترابطة , وأحيانًا يشتدّ في الصياح وينفعل ويزعق وقد يحطم الأشياء وقد يصبح عدوانيًّا , يضحك كثيرا وبصوت عالٍ .

إنّ أغلب الأمراض العقليّة يمكن الوقاية منها أو السيطرة عليها بشكل أفضل، إذا تمّ التعرف عليها مبكّرا . بالتالي لا يجوز التأخير في طلب المساعدة والاستشارة النفسيّة من المختصّين حتّى لو ظهرت المشكلة فجأة .

هناك عوامل كثيرة تلعب دورا مباشرا أو غير مباشر في إصابة الفرد بالأمراض العقليّة ، منها : تغيّرات كيمائيّة في الدماغ , العوامل الوراثيّة , الأحداث السيّئة في الطفولة , الجوّ الأُسَريّ المضطرب أو المفكّك , عوامل اجتماعيّة , كالفقر والبطالة وعدم توفّر السكن الملائم .

تبلغ نسبة الإعاقة العقليّة حوالي 2.3٪ من مجموع السكان , خاصّة في مرحلة الطفولة , وهؤلاء تقلّ نسبة ذكائهم عن 70 (زهران , 1977) .

فيما يلي رسم بيانيّ لمنحنى توزيع الذكاء يبيّن نسبة الإعاقة العقليّة في المجتمع .



الفروق بين الإعاقة العقليّة وبين المرض العقليّ :

- الإعاقة العقليّة تكون منذ الولادة أو في الطفولة المبكرة. أمّا المرض العقليّ , فيظهر في فترات متقدّمة من العمر نسبيًّا .
- وجود خلل في النموّ الحركيّ لدى المعاقين عقليًّا عادةً, هذا الأمر لا يكون لدى المريض عقليًّا .
- بُطء في النموّ اللغويّ لدى المعاق عقليًّا. أمّا لدى المريض عقليًا , فالنموّ اللغويّ يكون طبيعيًّا, لكنّه مشوّش وغريب.

- قدرة التعلّم لدى المعاق عقليًّا تكون منخفضة وبطيئة . أمّا المريض عقليًّا , فيكون التعلّم لديه اختياريًّا , أي قد يتعلّم أمورا معيّنة بدرجة ممتازة وأمورا أخرى يكون فيها سيّئًا .
- المعاق عقليًّا يكون قليل الانتباه للمحفّزات . أمّا المريض عقليًّا , فيكون شديد التأثّر والحساسيّة للمحفّزات .
- سلوك المعاق عقليًّا يتميّز بالتكرار ، بينما يتميّز سلوك المريض عقليًّا بالغرابة .
- كلام المعاق عقليًّا قليل وموجز بخلاف المريض عقليًّا الذي يتميّز كلامه بعدم التواصل مع الآخرين وعدم الواقعيّة .

الإعاقة العقليّة وفقًا لفيجوتسكي :

ممّا لا شكّ فيه أنّ الكثير من العلماء والباحثين في مجال علم النفس تطرقوا إلى مجال نموّ الأطفال في حالات السواء وحالات اللاسواء, أمثال جان بياجية وجيزل وروبينشتاين وآخرين . الحقيقة أنّ هذه الأبحاث كان لها الدور الكبير والهامّ في نموّ وتطوّر العلوم السلوكيّة , خاصّة علم النفس النموّيّ وعلم النفس الطفوليّ. عندما نذكر هذه الفئة من العلماء، لا يمكننا أن ننسى "ليف سيمونيفيتش فيجوتسكى" العالم الروسيّ الذي كان له باع طويل في هذا المجال. لقد ركّز فيجوتسكي في أبحاثه على العامل الثقافيّ والاجتماعيّ في نموّ الأطفال وتطوّرهم . وهو يشير إلى أنّ العامل الاجتماعيّ هامّ في عمليّة تطوّر الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصّة (Mamaijuk, 2001) .

لقد وضع فيجوتسكي نظريّة مناقضة للنظريّة البيولوجيّة في تلك المرحلة التي تشير إلى أنّ الأطفال ذوي الإعاقات العقليّة يمرون في مراحل نموّ خاصّة , وهي تعتمد في أساسها على

العوامل البيولوجيّة . يقول فيجوتسكي : إنّ العامل الاجتماعيّ يؤثّر على نموّ الفئتين , وهو هامّ في عمليّة النموّ النفسيّ والسلوكيّ , كما أنّه يساهم في بناء النشاطات المعرفيّة (Mamaijuk, 2001) .

إنّ نظرة فيجوتسكي هذه جعلته يصنّف فئة الإعاقات العقليّة إلى مجموعتين:

1. مجموعة متعلّقة بالعوامل البيولوجيّة ، وذلك لكون أسباب الإعاقة تعود إلى جذور بيولوجيّة وفيزيولوجيّة (مثال : الإعاقة السمعيّة , البصريّة , الحركيّة أو تلف دماغيّ) .
2. مجموعة متعلّقة بالأسباب الثقافيّة والبيئيّة .

كذلك يشير فيجوتسكي إلى عاملين هامّين في تحديد الإعاقات :

- عامل الزمن الذي تحدث فيه الإعاقة . إنّ معظم إعاقات النموّ تحدث في فترات الحمل أو في الفترات الأولى بعد الميلاد .
- درجة الإعاقة ومدى تأثيرها على النشاطات المعرفيّة .

نظم المساعدة السيكولوجيّة للأطفال ذوي الإعاقة العقليّة :

إنّ المساعدة السيكولوجيّة للأطفال ذوي الإعاقة العقليّة تعتبر هامّة جدًّا في عصرنا الحاليّ وهي جزء لا يتجزّأ من منظومة التصحيح والتعديل السلوكيّ . إنّ مساعدة هؤلاء الأطفال تحتاج إلى الأخذ في الحسبان الأمور التالية :

1. شكل الإعاقة ونوعها
2. درجة الذكاء
3. الخصائص الانفعاليّة والعاطفيّة

تشير البروفيسورة "إيرينا إيفانوفنا مامتشوك" من جامعة سانت بطرسبورغ في أبحاثها حول هذا الموضوع إلى أنّ اختيار نوعيّة المساعدة السيكولوجيّة الصحيحة يحتاج إلى مراعاة الفروق والخصائص الفرديّة للأطفال ذوي الإعاقة العقليّة , الأمر الذي من شأنه أن يساعد أكثر على تنمية القدرات العقليّة والمعرفيّة لديهم (Mamaijuk, 2001) .

إنّ المساعدة السيكولوجيّة لهذه الفئة من الأطفال تقوم على مبدأ تعزيز الجوانب التالية : الجانب الاجتماعيّ والاستقلاليّ , الجانب الأخلاقيّ والمهارات المعرفيّة التي تلائم قدرات الطفل العقليّة والجسميّة .

إنّ المساعدة السيكولوجيّة تأخذ أشكالاً مختلفة ومتنوعة . هذا التنوّع يتعلّق بالأهداف التي يقوم عليها المختص (المربّي , معلّم التربية الخاصّة , الأخصّائيّ النفسيّ , العامل الاجتماعيّ , الطبيب وغيرهم) ، وكلّ شكل من هذه الأشكال يعتمد على نظريّات مختلفة في مجال علم السلوك .

ترتكز المساعدة السيكولوجيّة لذوي الإعاقة العقليّة على الجوانب التالية :

- توصيات لأُطر تربويّة وتعليميّة ملائمة .
- توصيات لبرامج وأساليب تعليميّة وتربويّة ملائمة .
- توصيات للمراهقين بأُطر مهنيّة ملائمة .
- تحديد جاهزيّة الطفل للمدرسة وللتعليم ومعرفة أسباب التأخّر الدراسيّ.
- بناء برنامج علاجيّ سلوكيّ تصحيحيّ .

إنّ المساعدة السيكولوجيّة ليست حصرا على الأخصّائيّين النفسيّين , بل يساهم فيها أيضًا عدد كبير من المختصين مثل الأطباء النفسيّين , أطباء الأعصاب , العاملين الاجتماعيّين والمعلّمين .

أشكال المساعدة السيكولوجيّة للمعاقين عقليًّا :

1. الشكل التربويّ الذي يبنى على مساعدة الأهل ودعمهم في تعاملهم مع أطفالهم وبناء الخطط والبرامج التربويّة المشتركة .
2. الشكل التشخيصيّ الذي يقوم على عمليّة تشخيص الأطفال وإجراء تحليل شامل عن وضعهم , ويتضمّن التشخيص عدّة أخصائيّين : تربويّين , أطباء ونفسيّين .
3. الشكل الاجتماعيّ الذي يقوم على مساعدة العائلات اجتماعيًّا كعمليّة التعارف بين العائلات التي لها أطفال ذوي احتياجات خاصّة , تعريفهم بالجمعيّات للحصول على المساعدة وأمور على هذا النحو .

1. الشكل الطبّيّ الذي يتضمّن المساعدة الطبّيّة بكلّ أشكالها .
2. الشكل النفسيّ الذي يشمل المساعدة النفسيّة والسلوكيّة , كتعديل السلوك والصحّة النفسيّة للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصّة .

المبنى الثقافيّ – النفسيّ وعلاقته باختبارات القدرة العقليّة :

إنّ البناء السيكولوجيّ للإنسان يتضمّن مفاهيم ذات أوجه متعدّدة باختلاف الثقافات والمجتمعات. إنّ قياس القدرة العقليّة يحتاج إلى حساب العوامل الثقافيّة والاجتماعيّة التي تساهم في بناء المحتوى النفسيّ للفرد.

يشير عالم النفس الروسيّ "ليف فيجوتسكي" إلى ذلك بقوله : (إن أردنا قياس القدرة العقليّة لطفل ما , يجب أن نعلم أنّنا لا نتكلّم عن مجرد طفل , بل عن طفل نما وكبر في

بيئة ثقافيّة ما, وفترة زمنيّة ما , ومجتمع ما , وقياس قدرته العقليّة يحتاج إلى استخدام أدوات واختبارات ملائمة ثقافيًّا واجتماعيًّا) (فيجوتسكي , 1935) .

لا شكّ أنّ علماء النفس والخبراء في علم السلوك أوجَدوا كَمًّا هائلاً من الاختبارات النفسيّة التي تهدف لقياس القدرة العقليّة . من هذه الاختبارات اختبار "ستانفورد بينيه" واختبار "وكسلر للذكاء" وغيرهما من الاختبارات العقليّة .

إنّ معظم هذه الاختبارات تمّ بناؤها في المجتمعات الغربيّة ، وهي بلا شكّ بنيت لتلائم الثقافة الغربيّة . هذا الأمر يجعلنا نتساءل : هل هذه الاختبارات تلائم البيئة والثقافة العربيّة ؟ بالتالي : هل فعلاً تعطي النتائج المرجوّة منها ؟ وهي قياس القدرة العقليّة لدى الطفل العربيّ . هنا نضع علامة استفهام كبيرة . هنالك قول يشير إلى كون هذه الاختبارات تظلم المجتمع العربيّ ، لأنّها تحتوي على مضامين ثقافيّة غريبة عنها .

يشير جونسون (1964) إلى هذا الأمر حينما يقول: إنّ الاختبارات العقليّة العاديّة ليست "نزيهه" ، لأنّها لا تكشف جميع الجوانب للقدرات العقليّة , وهي في كثير من الأحيان تغفل عن كشف الجوانب القويّة لدى الطفل الذي يحتاج إلى الرعاية .

إنّ مجال تشخيص الإعاقة العقليّة يعتبر من المجالات الرئيسيّة في عمل الأخصّائيّ النفسيّ في البلاد . نجد أنّ الأخصّائيّين النفسيّين العرب يعانون من مشاكل جمّة في هذا المجال ؛ فحتّى يومنا هذا لا توجد اختبارات لقياس القدرة العقليّة مقنّنة للوسط العربيّ, وجميع الاختبارات الموجودة اليوم لا تلائم الثقافة العربيّة في البلاد.

إنّ الكثير من الدراسات حول موضوع ملاءمة الاختبارات العقليّة للثقافات المختلفة حاولت إعطاء الحلول والبدائل ، لكنّ هذه الدراسات أشارت إلى الاختلافات بين نتائج اختبارات القدرة العقليّة في الثقافات المختلفة (أناستازي , 1958, جونسون , 1964) .

من هذه الدراسات والأبحاث نذكر بحثين أُجريَا في إسرائيل حول هذه المسألة, مسألة كون الاختبارات العقليّة العاديّة غير نزيهة .

البحث الأوّل اشترك فيه 475 شابًّا من مواليد إسرائيل . مُررت الاختبارات العقليّة على هذه المجموعة . تمّ تقسيم عيّنة الدراسة إلى أربعة أقسام وفقًا لدولة منشَأ الأهل , أي الدولة التي أتى منها الأهل إلى إسرائيل : المغرب , العراق , رومانيا , بولندا (نبو , 1976) .لقد كانت النتائج مثيرة للاهتمام ، كما تظهر في القائمة التالية (رقم 1) :

دولة المنشأ	درجة الذكاء
العراق	95
المغرب	89
بولندا	105
رومانيا	102

وفقًا للنتائج أعلاه نجد فروقًا شاسعةً بين مختلف المجموعات ، الأمر الذي يشير إلى وجود علاقة بين درجات الذكاء في الاختبارات وبين المتغيّرات العرقيّة والثقافيّة (نبو , 1976) .

البحث الثاني أُجري في جامعة حيفا . اشترك في هذا البحث 230 شخصًا من القوميّة العربيّة و 826 شخصًا آخر من القوميّة اليهوديّة .

لقد مُررت اختبارات مختلفة عليهم تهدف إلى قياس القدرة العقليّة , وقد تضمّنت هذه المجالات:

- اختبار القدرة الحسابيّة
- اختبار تكملة الأشكال
- اختبار تكديس لبنات
- اختبار الثروة اللغويّة
- اختبار اليقظة الاجتماعيّة
- اختبار ابتكار الأشكال
- اختبار اللغة الإنجليزيّة

حصل الباحثون على هذه النتائج ، كما هو ظاهر في القائمة التالية (رقم 2) :

الاختبار	يهود	عرب	P
اختبار القدرة الحسابيّة	10.50	9.98	————
اختبار تكملة الأشكال	9.91	7.8	0.001
اختبار تكديس لبنات	11	9.7	0.01
اختبار الثروة اللغويّة	10.5	8.6	0.001
اختبار اليقظة الاجتماعيّة	11.7	8.5	0.001
اختبار ابتكار الأشكال	10.2	9.1	0.05
اختبار اللغة الانجليزية	9.7	7.5	0.001

وفقًا للنتائج أعلاه نجد أنّ درجات الفئة العربيّة أقلّ من الفئة اليهوديّة بشكل بائن. هذا الاختلاف أخذ عدّة تفسيرات من عدّة باحثين ؛ فقد أشار الدكتور "نيبو" (1976) في

مقال له باسم "اختبارات نزيهة" إلى وجود اختلافات ثقافيّة هامّة بين المجتمع العربيّ والمجتمع اليهوديّ التي تؤثّر كثيرا على الدرجة العامّة في اختبار القدرة العقليّة . من هذه الاختلافات :

1. وجود اختلاف ثقافيّ في معرفة أجزاء الاختبار وأدواته .
2. وجود اختلاف ثقافيّ في إدراك الأشياء .
3. وجود اختلاف ثقافيّ في القدرة على العمل في أقات الضغط .
4. وجود اختلاف ثقافيّ حول مفاهيم الاختبار .
5. وجود اختلاف ثقافيّ في تأثير سلوك الفاحص وشخصيّته على المفحوص.

من جهته يشير بروفيسور مروان دويري (2006) , أخصّائيّ نفسيّ وباحث عربيّ في البلاد، في مقاله "مسائل في القياس السيكولوجيّ للمعالجين من مجتمعات جماعيّة : الحالة العربيّة" إلى الاختلاف بين المجتمعات الفرديّة (الثقافة الغربيّة) والمجتمعات الجماعيّة (الثقافة العربيّة) ويقول في مقاله : إنّ سلوك الأفراد من الثقافات الجماعيّة يفسّر في كثير من الأحيان بناءً على القيم والمعايير الاجتماعيّة , كما أنّ فهم الصراعات العائليّة له دوره الهامّ في فهم السلوك (دويري , 2006) .

الكثير من الدراسات دارت حول مفهوم الذكاء في مجتمعات مختلفة . إنّ مفهوم الذكاء يختلف من مجتمع إلى آخر . وهو يختلف في الثقافة الغربيّة عنه في الثقافة العربيّة . إنّ التفكير في الثقافة العربيّة مرتبط بالقيم والمعايير الاجتماعيّة أكثر منه بالقدرة على التفكير المنطقيّ . إنّ الفرد الذكيّ في المجتمع العربيّ هو ذلك الذي يستطيع أن يمتلك نفسه ويسيطر عليها بصورة تلائم المعايير الاجتماعيّة (دويري , 2006 , الجابري , 2002) .

يقول "لونر" (1990) : إنّ مفهوم الذكاء يأخذ معاني عديدة ومختلفة باختلاف الثقافات؛ فنجد أنّ الفرد الذكيّ هو ذلك الشخص السريع في تفكيره , بينما في مجتمع آخر هو ذلك الشخص الذي يفكّر برزانة وبطء وثِقَلٍ ويقول الكلام الصائب.

يشير بروفيسور "مروان" في مقاله إلى أنّ البدويّ النبيه يعلَم تمام العِلم ما هي القيم العربيّة لسلوكه في مواقف اجتماعيّة ما وبتلاؤم مع جنسه وجيله . هو يعلم كيف يتنبّأ بحالة الطقس حسب لون السماء وشكل الغيوم وعلامات طبيعيّة أخرى . وهو يعلم كيف يسير في الطرق الصحراويّة ويستطيع أن يتعرف على المارة في الطريق من أثر أقدامهم . ويستخدم الأعشاب في بيئته لعلاج الأمراض المختلفة (دويري , 2006) .

لقد حاول العلماء والخبراء في علم السلوك إيجاد اختبارات سيكولوجيّة لقياس القدرة العقليّة "نزيهة" قدر الإمكان من هذه الاختبارات :

a. **Progressiv** Matrices (Raven, 1956)

b. Leiter International Performance Scale (Leiter, 1969)

c. Goodenough Draw a Man **Test** (Goodenough & Harris, 1950)

d. Cattel-Culure Fair Test (Cattle, 1965)

e. Davis & Eells "**Games**" (Davis & Ells, 1953)

f. Jensen's "Level I" Tests (Jensen, 1969)

هذه الاختبارات جاءت لتحول دون تأثير العوامل العرقيّة والثقافيّة على النتيجة العامّة للذكاء وكي تتمكّن من إعطاء النتيجة الأصدق للقدرة العقليّة .

الخلاصة :

إنّ القدرة العقليّة تعتبر بناءً معقّدًا ومركّبًا . لذا ، فإنّ تحديدها أمر في غاية الصعوبة وهو يحتاج إلى أشخاص مهنيّين ومختصّين في هذا المجال . إنّ تشخيص الإعاقة العقليّة يتطلّب القيام بالأمور التالية :

1. الفحص النفسيّ حيث يتمّ فيه تحديد نسبة الذكاء.
2. التحصيل الأكاديميّ والتقدّم الدراسيّ.
3. الفحص الطبّيّ والعصبيّ والمعمليّ.
4. البحث الاجتماعيّ.

من هنا يجب على الوالدين والمربّين المبادرة بالتشخيص المبكّر لحالات الإعاقة العقليّة حتّى يمكن اتّخاذ الإجراءات اللازمة لمساعدتهم (زهران , 1977) .

لقد حاولت الكثير من الدراسات بناءَ اختبارات عقليّة "نزيهة"، تهدف إلى عدم ظلم فئة عرقيّة ما على حساب فئة عرقيّة أخرى، تختلف اختلافًا جذريًّا في بنائها الثقافيّ والتربويّ والاجتماعيّ. توصّلت هذه الدراسات إلى نتيجة هامّة، هي عدم القدرة على تصفية أثر العوامل الثقافيّة والعرقيّة في الاختبارات العقليّة, ولا يمكن بناء اختبار لقياس القدرة العقليّة دون أثر هذه العوامل.

إنّ للعوامل العرقيّة دورا مركزيًّا في البناء السيكولوجيّ والمعرفيّ للفرد , وهي اللَّبنات الأساسيّة في بناء المفاهيم التي بدورها تكوّن التفكير . من هذا المنطلق كان لا بدّ من أخذ العوامل العرقيّة بعين الاعتبار وقت بناء الأدوات المعدّة لقياس القدرة العقليّة التي قد تحدّد الإعاقة العقليّة.

المراجع

الجابري , م. أ. (2002) : العقل الخليجيّ العربيّ . بيروت : المركز الثقافيّ العربيّ.

الخالدي , أديب محمّد (2003) : سيكولوجيّة الفروق الفرديّة والتفوّق العقليّ. عمّان : دار وائل للنشر .

الروسان , فاروق (2001) : سيكولوجيّة الأطفال غير العاديّين : مقدّمة في التربية الخاصّة. عمّان : دار الفكر .

خير الله , سيد (1974) : المدخل إلى العلوم السيكولوجيّة . القاهرة : عالم الكتب .

زهران , حامد عبد السلام (1977) : علم النفس النموّ "الطفولة والمراهقة" . القاهرة : عالم الكتاب .

عميندااف , حاية (2006) : الإعاقة العقليّة : تعاريف , مستويات , أسباب متلازمات شائعة . أكيم : أكيم – معلومات .

نجاتي , محمّد عثمان (1994) : علم النفس الصناعيّ . القاهرة : دار النهضة العربيّة .

אורתר, ג׳.(תשי״ח). מבחנים מילוליים ומבחני ביצוע ערכם היחסי לצורך ה שוואה בין תרבותית.מגמות.

בר-אל, ציפי (1996). פסיכולוגיה חינוכית . רכס הוצאה לאור.

דוירי, מרואן (2000).
סוגיות בהערכה פסיכולוגית של מטופלים מחברות קוליקטיביות : המקר הערבי. שיחות - כרך כ״א, חוב׳ מס׳ 1, נובמבר.

נבו, ב׳.(1976). מבחני משכל הוגנים. כתב עת לפסיכולוגיה וייעוץ בחינוך. ירו שלים ניסן תשל״ואפריל.

Anastasi, A., (1958). Differential Psychology, Macmillan, New York.

Anastasi, A., (1967). Psychology and Psychological Testing. American **Psychologist**.

Guilford, J. P., (1967): The Nature of Human Intelligence. New York: Mc Grow-Hill Book Company.

Jensen, A. H., (1969). How much man we boost I.Q. and scholastic achievement? In Harvard Education Review.

Sylwester, R., “A Child’s Brain,” Instructor, Sept. 1982: 91-95.

Terman, L. M. Y. & Merrill M. M., (1960). Stanford intelligence scale.Boston: Houghton Mifflin.

Vygotsky, L., “The Problem of Age Periodization of Child Development,” Human Development, 17: 24-40, 1974.

Webb, R., “Concrete and Formal Operations in Very Bright Six- to Eleven-Year Olds,” Human Development, 17: 292-300, 1974.

Wenneberg, E., Auditory Training of Severity Hard-of-Hearing Preschool Children,” Act OtolaryngologicalSupplement, 110, 1954.

Выготский Л. С., (1956). Проблемы обучения и умственного развития // Избранные исследования. Москва.

Выготский Л. С., (1991). Педагогическая психология. Москва.

Выготский Л. С., (1935). Умственное развитие детей в процессе обучения. Москва.

Мамайчук И. И., (1978). Гаптическое и зрительное восприятие у школьников в норме и при нарушениях моторики и интеллекта. Автореф. дисс. на соиск. уч. степ. канд. наук. Л.

Мамайчук И. И., (1984). Бахматова Е. Н. Комплексное психологическое исследование больных со спастической формой ДЦП // Журнал дефектологии. Труды НИИ им. Г. И. Турнера.

Мамайчук И. И., (1974). Манихина З. П. О роли моторного дефекта в развитии познавательной деятельности у детей с ДЦП // Труды НИИ им. Турнера.

Мамайчук И. И., (2003). Психокоррекционные технологии для детей с проблемами в развитии – СПб.
Мамайчук И. И., (2002). Экспертиза личности в судебно-следственной практике – СПб.

زوايا سيكولوجيّة لجوانب إسلاميّة

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ابن عبد الله سيد الخلق والمرسلين وخاتم النبيين, أما بعد:

ان الدين الإسلامي هو دين عظيم انزله الله تعالى كي يكون هديا للامه وطريق نور وصراط مستقيم وعزة , لقول أمير المؤمنين الفاروق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: " كنا أذلة فأعزنا الله بالإسلام " . من هنا علينا ان نعلم انه لا عزة لنا بدون الإسلام, ففيه حياة للمؤمنين يسيره , وفي الابتعاد عنه حياة البؤس والشقاء.

لقول الله تعالى:

"....فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى, ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمي " (سورة طه, 123/122).

وقد انزل الله تعالى القرآن الكريم معجزة من أعظم المعجزات , فيه أمور الدين والدنيا وتفسير لكل ما هو موجود على البسيطة من أمور اجتماعيه, سياسيه وسلوكيه وغيرها.

فلو تمعنا في القرآن الكريم حقا لوجدنا انه يفسر معظم ظواهر الحياة. وإضافة إلى القرآن الكريم هناك السنة النبوية التي وضعها معلم البشرية محمد عليه الصلاة والسلام, والتي فيها وضع كثير من القوانين, وشرح الكثير من الأمور الدينيه والدنيوية.

سنتطرق هنا الى مقارنه بين علم السيكولوجية والدين الإسلامي , بمعنى آخر ان كثير من علماء السلوك المعاصرين بدراساتهم وابحاثهم استطاعوا ان يشرحوا كثير من الظواهر

السلوكيه. ونجد ان الإسلام اثبت ذلك ونص عليه كذلك . هذا الامر يعطينا قوة في ايماننا بالله والرسول.

سنتطرق بعون الله لبعض الظواهر السلوكيه التي يشرحها الخبراء في علم السيكولوجية ونرى علاقتها بالإسلام.

سنورد بعون الله شرحا من الناحية السيكولوجية العلمية للظاهرة ثم نأتي بالنص الديني.

ان الفكرة الأساسية هنا تتبلور في مقارنة ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية من مظاهر سلوكيه, مع ما جاءت به نظريات علم السيكولوجية الحديثة .

ما حث الدين الإسلامي على سلوك إلا وحث عليه العلم والدراسات العلمية. والشخصية الاسلامية هي شخصيه إيجابيه سويه بعيده عن الانحرافات, وذلك بتمسكها بشعائر الإسلام وقوانينه ومطالبه , فلا يمنع سلوكا إلا وكان وراءه عاقبة وخيمة , وما حث على سلوك إلا وكانت نتائجه إيجابيه. ومن يتبع تعاليم الإسلام يتجنب الاضطرابات والانحرافات ويشرح الله تعالى صدره للخير وينزل عليه الطمأنينة.

" ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين"

يقول تعالى في كتابه العزيز :

" ولقد خلقنا الإنسان من سلله من طين , ثم جعلنه نطفة في قرار مكين , ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقة مضغه فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظم لحما ثم انشانه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين." (سورة المؤمنون أيه 12–13).

وقال تعالى:

" هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون. "(سورة غافر أيه 67).

ويقول الله عز وجل:

"الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير. "(سورة الروم أيه 54).

في هذه الآيات الكريمة يصف جل جلاله عملية خلق الإنسان وعملية نموه, وأصله الذي هو من تراب . وجعل الله تعالى عملية الخلق متسلسلة فكان نطفة ثم علقه ثم نمى فأصبح طفلا يفكر ويشعر ويتأثر ويتعلم وينمو حتى اصبح رجلا قويا بعد ان كان طفلا ضعيفا متكلا معتمدا ثم اصبح شيخا كهلا ضعيفا متكلا كما كان اول مرة .

ان عمليات النمو ومسارات التطور العجيبة التي وصفها الله تعالى في الكتاب المبارك درست ومحصت من قبل العلماء على مختلف مجالاتهم وبحثت بحثا دقيقا , من الناحية البيولوجية ومن الناحية التشريحية ومن الناحية الفسيولوجية ومن الناحية السيكولوجية . ان جميع هذه المجالات مترابطة ومتكاملة .وهناك الكثير من العلماء الذين استطاعوا ان يفندوا المراحل إلى مراحل مفسره أكثر وبشكل موسع (حامد زهران 1971).

ما هي السيكولوجية (psychology) ؟

لقد اجتمع العلماء على ان تعري علزم النفس بشكل عام هو انه العلزم الذي يبحث في دراسة السلوك الانساني بطريقة علمية بهدف فهم هذا السلوك , وتفسيره, والتنبؤ به ,

وضبطه , والتحكم به , كي يتم تعديله وتغييره, وزيادة فهمه (عبد الرحمن عدس,نايفة قطامي 2002).

اهداف السيكولوجية :

الهدف الاول: هو فهم السلوك الانساني وذلك بمحاولة الاجابة على السؤالين " كيف؟ ولماذا؟".

الهدف الثاني : هو التنبؤ بالسلوك الانساني , وذلك بالمحاولة للاجابة عن الاسئلة التالية " متى؟ وماذا؟ " .

الهدف الثالث : هو ضبط السلوك الانساني , هذا يعني محاولة التحكم في المثيرات و الستجابات .

(عبد الرحمن عدس,محي الدين توق 1997)

ان العلم الذي يبحث في النمو النفسي والتطورات ألسلوكيه لدى الإنسان منذ مولده حتى مماته هو ما يطلق عليه اسم علم النفس النمو Developmental psychology وهو العلم الذي يدرس سلوك الكائن الحي وما وراءه من عمليات عقليه , دوافعه وديناميياته وأثاره, دراسة علمية على أساسها يمكن فهم وضبط السلوك والتنبؤ به والتخطيط له .

ان هذا العلم يبحث في العمليات والنشاطات النفسية لدى الطفل منذ ولادته حتى يصبح رجلا ثم كهلا ثم الموت, فالعمليات النفسية كالتفكير, الاستيعاب, الإحساس والتذكر تنمو وتتطور مع تقدم العمر.

فطفل الشهر يختلف عن طفل الستة أشهر وطفل السنة يختلف عن طفل السنتين وطفل الخمسة يختلف عن طفل السابعة وهكذا. وقد قسم علماء النفس مراحل حياة الإنسان إلى عدة مراحل, يمكن ذكرها باختصار:

المرحلة الأولى – مرحلة المهد, وهي أول سنتان من حياة الطفل.

المرحلة الثانية – مرحلة الطفولة, وهي من سنتين حتى اثنتي عشر سنه.

المرحلة الثالثة– مرحلة المراهقة , وهي من 12 سنه إلى 18 سنه.

المرحلة الرابعة – مرحلة الرشد .

المرحلة الخامسة – مرحلة الشيخوخة .

ميادين السيكولوجية

السيكولوجية التجريبية, السيكولوجية الفزيولوجية, السيكولوجيةالتطورية, السيكولوجية الاجتماعية, السيكولوجية الاكلينيكية, السيكولوجية التربوية, السيكولوجية الصناعية , السيكولوجية القياسية.

الصحة النفسية

ان الصحة النفسية هي موضوع اساسي يدور حوله اهتمام علم السيكولوجية والصحة النفسية تشكل جانباً هاماً في بناء الشخصية .

والصحة النفسية بمفهومها العام هي الحياة النفسية السليمة . هناك عدة مفاهيم للصحة النفسية ويمكن تعريف الصحة النفسية السليمة بأنها قدرة الإنسان على الشعور بالسعادة وإيمانه بقيمه المختلفة في الحياة وتكوين علاقات صادقة مع الآخرين وكذلك قدرته على العودة إلى حالته الطبيعية بعد التعرض لأي صدمة أو ضغط نفسي.

ان الصحة النفسية جزء مكمل للصحة العامة إن عالم اليوم ملئي بالضغوط النفسية والاجتماعية والانفعالات المستمرة والتي قد تؤثر على صحة الإنسان سواء الجسدية أو النفسية كما أن الحياة اليومية وما فيها من تسارع الاحداث يعتبر من العوامل التي

تساعد على أحداث تغيرات كبرى في سلوك الفرد. يعرف برنارد (1961) الصحة النفسية انها تكيف مستمر مع ظروف الحياة.

الأمراض النفسية

تسجل الأمراض النفسية والعقلية انتشارا واسعا في كافة المجتمعات. فقد يصاب البعض منا ببعض الاضطراب العاطفي في أوقات مختلفة وقد يشعر البعض الأخر بالحزن لأسباب متعددة بينما يحس البعض الثالث بالقلق والتوتر في أوقات أخرى وقد يصبح البعض عصبيا أو يغضب لموقف ما أو ينصرف بطريقة غريبة تحت ظروف معينة.

إن أغلب الأمراض النفسية والعقلية يمكن الوقاية منها أو السيطرة عليها بشكل أفضل إذا تم التعرف عليها مبكراً وبالتالي لا يجب التأخير في طلب المساعدة والاستشارة النفسية من المختصين حتى لو ظهرت المشكلة فجأة.

من هو السيكولوجي ؟

يهتم السيكولوجي بجوانب الحياة الانسانية ويقوم بدراسة السلوك الانساني في مختلف المجالات .وهو يعمل في مجال الصحة النفسية في مختلف الميادين. ومن القضايا التي يدرسها السيكولوجي:

- القدرة العقلية
- المشاكل السلوكية
- الامراض النفسية
- مشاكل التعلم
- التأخر في النمو
- مشاكل اللغة

- الشخصية

ان اهداف السيكولوجي هي تقييم السلوك ثم محاواة تعديله وتغيره الى الافضل . فالسيكولوجي دائما يطمح الى الوصول بالناس الى حياة نفسية افضل.

نظريات في علم النفس والحديث الشريف

أن علم السلوك يبحث في كثير من الظواهر السلوكية لدى الإنسان ويقوم بتمحيصها وتحليل اسبابها وبواعثها ويحاول وضع خطط علاجية لحلها, ومن العلماء الذين بحثوا في هذا المجال نذكر العالم النفسي الشهير المدعو (جان بياجية) والذي بحث في سلوك الطفل ومراحل تطوره وتعلمه وفهمه وإدراكه للمحيط . هذا العالم يعد من الباحثين الكبار الذين بحثوا تطور السلوك لدى الأطفال . قام بياجية بعدة تجارب شهيرة استطاع من خلالها ان يثبت ان الطفل يمر بمراحل فهم وإدراك متفاوتة تنمو وتتطور مع تقدم عمره.

قضى جان بياجية حياته في البحث عن كيفيه تعلم الأطفال للأشياء المحيطة بهم وطرق فهمها, وقد استطاع ان يربط بين إدراك الطفل وتعلمه للمحيط وبين عمره الزمني, أي ان الطفل لا يستطيع على سبيل المثال ان يتعلم الكلام قبل ان يصل إلى عامه الأول و إذا كانت هناك محاولات فإنها بالطبع ستبوء بالفشل . كما ويعتقد بياجيه ان الطفل يتعلم عن العالم المحيط به عن طريق ما يسمى بالإدراك التدريجي التابع للفكر.

لقد توصل جان بياجية بعد أن قضى وقتا طويلا من حياته يبحث في جوانب الطفل السلوكيه إلى ما أشار إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرنا, حينما ربط لنا إدراك الطفل وفهمه لمحيطه بالعمر الزمني. وان الطفل لا يستطيع ان يكتسب الشيء ويتعلمه إلا حينما يصل نموه ونضجه إلى الزمن المطابق لتعلم هذا الشيء.

عن عمر بن شعيب,عن أبيه,عن جده رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا , واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا وفرقوا بنيهم في المضاجع ". رواه احمد وابو داود والحاكم , وقال : صحيح على شرط مسلم .

يقول الله تعالى: " وما ينطق عن الهوى , إن هو إلا وحي يوحى" (سورة النجم ,4,3).

ان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم , حديث مهم وبه ما يجب التمعن فيه والتفكر مليا , إذ يحدد محمد عليه الصلاة السلام فترات زمنيه للتعامل مع الطفل .

فقوله: " مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا " تحديد للزمن وللوقت المناسب الذي يستطيع فيه الطفل تلقي الأوامر وفهم الأمور.

لكي نتمكن من فهم هذا الحديث بشكل واضح وأفضل, علينا ان نفهم أولا مراحل النمو النفسي والسلوكي لدى الأطفال في السن المبكرة, أي في مرحلة الرضاعة والمهد حتى جيل سبع سنوات.

إن مرحلة الرضاعة تتميز بتقليد الطفل لحركات وأفعال الكبار مما يؤدي إلى بداية تعلمه , ومن وجهة نظر علماء النفس ان التقليد يعتبر مستوى جديدا من النشاط العقلي والمعرفي . وفي بداية السنة الثانية يبدأ الطفل باكتشاف المحيط والتعرف عليه عن قرب, كما و يبتكر أشياء جديدة غير مألوفة, وليس فقط مجرد التكرار عن طريق الصدفة كما كان في المراحل الأسبق وإنما يبدأ بنفسه اكتشاف الموضوعات المحيطة به.

وبذلك يرى الطفل نفسه كمؤثر , وهو يتمسك بمفاهيم معينة للسبب والنتيجة. وكل هذا يتبين لنا حينما نرى طفلنا قد زادت حركته وزادت ضجته ولعبه أو كما نقول نحن " تخريبه للبيت " ان هذا يدل على مدى نمو الطفل من الناحية العقلية والمعرفية.

وفي منتصف السنة الثانية يبدأ الأطفال بما يطلق عليه بياجية ببدايات التفكير , إذ أنهم يجربون أفعالا معينة " في رؤوسهم " قبل ان يجرونها في الواقع . وهذا ما يسمى بالاختبارات العقلية . هنا علينا ان نشير إلى ان شكل التفكير لدى الأطفال في العامين الأولين عادة ما يكون محدودا للغاية حيث انه يتعامل فقط حسب مبدأ هنا والآن . أي انه يعيش في عالمه الخاص به ولا يستطيع ان يتعرف على عالمنا الفكري والعقلي , فهو لا يفهم سوى ما يريده هو , وهذا ما أطلق عليه بياجية بالتفكير المتمركز حول الذات أو التمركز الذاتي . بعد ان تمكن العالم النفسي جان بياجية من اكتشاف بان الطفل لا يستطيع ان ينظر من منظورنا إلى الحياة . نجد ان هذه النظرية توصل إليها محمد صلى الله عليه وسلم قبل أكثر من أربعة عشر قرنا ونيف , إذ نجد في حديثه الشريف: روى احمد وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه,عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: " من قال لصبي هاك , ثم لم يعطه فهي كذب" .

في هذا الحديث الشريف يحدد لنا محمد صلى الله عليه وسلم القائل والمتلقي والنتيجة. فالقائل هو جمع الكبار, لان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يتحدث مع الصحابة رضوان الله عليهم. والمتلقي هو الصبي , أما النتيجة فهي الكذب أي إذا قال الكبير للصغير هاك ولم يعطه فقد كذب , وان قصد المزاح.

من هنا نجد ان الرسول الكريم أراد ان يوضح للناس ان عالم الطفل هو عالم آخر , غير عالمنا , وان الطفل لا يستطيع ان ينظر بمنظورنا للأمور نحن الكبار , ويقصد عليه الصلاة والسلام ان تفكير الطفل متمركزا حول ذاته , وانه لا يفهم مقاصد الأمور بل ما نقول ونفعل , وهذا ما يقوله علم السيكولوجية الحديث . ان الأطفال الصغار يتعلمون

على أفضل نحو من الأنشطة العيانية, وحين نحاول ان ننقل المعرفة عن طريق اللفظ فان النتيجة كثيرا ما تكون فهما سطحيا , لكونهم لم يتوصلوا بعد الى مرحلة الخروج من التفكير المتمركز حول الذات .

استطاع بياجية ان يربط بين النمو المعرفي لدى الطفل وبين النمو الزمني . فهو يستمر في شرحه لنظريته إلى ان يصل إلى المرحلة الثانية بعد المرحلة التي يطلق عليها اسم " الحس–حركية ".

والتي تبدأ في نهاية السنة الثانية ويطلق عليها اسم المرحلة العقلية قبل الإجرائية. ففي بداية هذه المرحلة نجد ان الأطفال يبدؤون استخدام اللغة وتنميتها كما ينمون استخدام الإشارات والرموز . ومن المعروف ان اللغة هي دليل على النمو العقلي لدى الأطفال , فبواسطتها يحل مشاكل أكثر تعقيدا وتركيبا.

وفي هذه المرحلة يبدأ عندهم مبدأ ثبات الأشياء وبقائها دون ان يروها إمامهم.

في هذه المرحلة بحث بياجية العمليات العقلية لدى الأطفال, فوضع بعض المهام العقلية وعرضها عليهم, ورأى كيف يمكنهم التوصل إلى الحل .

نعطي مثال على ذلك كما جاء في ابحاث بياجية :

عرض على طفل كأسين كبيرين واسعين من الماء, مملوءين بارتفاع متساوي, وكأس ثالثة طويلة وفارغة.

ثم بعد ان عرضها على الطفل ,سأله كيف يرى الماء في الكأسين الأولين , فقال الطفل ان الماء متساوي , ولكنه بعد ان سكب احد الكأسين في الكأس الطويلة الفارغة على مرأى من الطفل وسأله أين توجد كمية الماء أكثر فأشار الطفل إلى الكأس الطويلة .

هنا يشير بياجية إلى ان الطفل فقد الحكم بالثبات والبقاء من الناحية الكمية , أما الطفل الذي يفهم ان اختلاف الحجم قد لا يؤثر على الكم فقد وصل إلى درجة من التفكير الذي يتغلب فيه على الإدراك . ان إدراك الطفل في هذه المرحلة للأشياء يميل إلى ان يكون مقيدا بالسمات السائدة أو الخصائص الغالبة على شكل المثير , ومع ازدياد العمر للوليد البشري ونضج القدرات الإدراكية نرى ان إدراكه يتحرر من اعتماده المبكر على الخصائص المهيمنة والسائدة , بالتالي نجده يستطيع التعامل مع الشكل وينظمه بصورة كلية عامة, وهذا تفسير يمكن ان يلاحظ في الطريقة التي يؤدي بها الطفل عدد من المهام الإدراكية المختلفة . وعلى العموم فان معظم الأطفال ما قبل السادسة أو السابعة لا يفطنون إلى مبدأ الثبات وبقاء الأشياء. من هذا المنطلق يقول بياجية ان الطفل ما قبل المدرسة تنقصه الإمكانية والقدرة على التفكير بشكل منطقي .

ومن الجدير بالذكر ان تجارب بياجية واختباراته جربت في كثير من دول العالم , وكانت النتيجة مطابقة بشكل مذهل . ومن الاستنتاجات التي استنتجها جان بياجية , هي التفكير المتمركز حول الذات , فالطفل الذي لم يصل إلى السابعة من عمره تسيطر عليه صفة التمركز حول الذات في التفكير والكلام والسلوك . فقد لاحظ ان الأطفال عادة ما يتكلمون مع أنفسهم أكثر مما يفعلونه مع بعضهم البعض. وكلامهم عادة ما يكون مرتبطا بالفعل ولا يكون بمثابة مجهودا يبذله الطفل لهدف الاتصال.

نأتي بمثال على هذا, طفلين في الثالثة من عمرهما يلعبان سويا وقد دار بينهما حديث:

– احمد: اشترت لي أمي هذا الحذاء الجديد.

– علي: هذه اللعبة الخربة! لماذا لا تعمل ؟؟

أطلق بياجية على هذا النوع من الحديث بالكلام المتمركز حول الذات, وذلك نتيجة التفكير المتمركز حول الذات أيضا الذي تتصف به هذه المرحلة الزمنية.

يمكن القول ان الأطفال حينما يتواجدون مع بعضهم البعض فان كل طفل تكون نسبة عالية من كلامه موجه لنفسه. لذلك نجد ان الطفل حينما يتكلم يستخدم الصيغ التالية: انا اعمل, انا ارسم , انا أكل , انا العب ...

ويشير بياجية إلى ان الطفل الصغير لا يمكنه ان يأخذ وجهة نظر الشخص الآخر عندما يختلف معه , ان تفكير الطفل الصغير له نظامه الخاص به , فنحن لا نستطيع ان نفهم الطفل بشكل كلي وذلك لعدم قدرتنا على الارتداد إلى نماذج فكرية ذاتية . وهي تلك النماذج التي تميز تفكير الصغار.

لذلك قد يساء فهمنا لسلوك الصغار وذلك لاختلاف نظرة الأطفال للعالم المحيط مما هي لدى الراشدين . قد يتأثر الطفل الصغير ويصدم حينما لا يستطيع ان يشارك دميته في ردود فعلها . وذلك لاعتقاده ان دميته جزء من نفسه. ومن المميزات التي تميز تفكير الطفل في هذه المرحلة , هي صفة الإحيائية أو الارواحية وهي نسب الحياة لأشياء الغير حية. أو يعتقد بان لكل شيء في الطبيعة روحا أو نفسا, كان يظن ان دميته تشعر بالألم والبرد كما يشعر هو بذلك . أي ان الأشياء تشعر وتجد ما يشعر به هو , فقد نسمع حديث طفلين :

- احمد: لماذا أنت ممسك بساقك ؟
- علي : لأنني عندي ألم في إصبعي !
- احمد : هل تؤلمك كثيرا ؟
- علي : نعم أنها تؤلمني , ألا تشعر بها ؟!

ونتيجة ان الأطفال الصغار ليس لديهم مبدأ الثبات الكمي و العددي فانهم يعتقدون ان الحياة والموت شيء واحد , فطفل الثالثة والرابعة لا يفهم الموت ولا يعني له هذا ان الحياة تنتهي , وذلك يعود إلى ان الطفل يظن ان الحياة هي صفة ثابتة ودائمة للأشياء مثل صلابتها أو ألوانها.

ونورد هنا حديث يدور بين احد الأخصائيين وطفل في الثالثة والنصف من عمره :

الطفل: لماذا تدفن الأموات تحت الأرض ؟

الأخصائي: أين تعتقد بأنهم يجب ان يدفنون ؟

الطفل : من الممكن وضعهم في النفاية!

الأخصائي: لماذا يمكن وضعهم في النفاية ؟

الطفل: من الأسهل عليهم ان يخرجوا.

وعندما يقترب الطفل من سن السادسة أو السابعة , يبدأ في تكوين مفهوم ان الموت هو نهاية الحياة بالمعنى المادي أو الفسيولوجي . ما نريد ان نتوصل أليه هو ان جميع العمليات الفكرية والعقلية لدى الأطفال تنمو مع نموه الزمني , أي أننا لا نستطيع ان نعلم طفلا شيئا ما وهو لم يصل بعد إلى النضج الذي يسمح له بتعلم هذا الشيء. لذا يقول محمد صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: " مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبعا ".

وهنا لم يشر محمد صلى الله عليه وسلم إلى المرحلة الزمنية عبثا , بل كان متيقنا اشد اليقين بان للنضج العمري أهمية كبرى في فهم الأمور وتعلمها .

من هنا نرى انه يوجد تطابق عجيب بين جميع الأبحاث في علم السلوك في هذا المجال وبين " النظرية المحمدية " إذ ان كل ما قام به العالم النفسي جان بياجية من

أبحاث وتجارب كي يصل إلى ان الطفل يمر بمراحل زمنية مختلفة ينمي فيها العقل والمعرفة والاستعداد للتعلم , وان الطفل يخرج من صيغة التفكير المتمركز حول الذات في سن السابعة , والتي فيها يمكنه تقبل وجهة نظر الغير . استطاع محمد صلى الله عليه وسلم ان يحدد هذا ويعلمه لمن حوله قبل أربعة عشر قرنا ونيف, وقد حدد محمد صلى الله عليه وسلم العمر الزمني بالتمام والدقة المتناهية في خروج الطفل من تمركزه في تفكيره إلى فهم قصد الآخرين , لذا يمكنه فهم ما تعني الصلاة , ويمكنه استيعابها . وصدق عز وجل حينما قال: **" إن هو إلا وحي يوحى". (النجم,4).**

ويكمل محمد عليه الصلاة و السلام : "، اضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا..."

ويعود أيضا ليحدد الفترة الزمنية التي يمكن فيها الطفل تلقي العقاب وفهم معناه.

يقصد هنا بالضرب والعقاب" الذي يهدف إلى الردع وتقويم السلوك وذلك ما يطلق عليه كبار علماء النفس باسم " العقاب " ضمن نظرية واسعة في علم السلوك يطلق عليها نظرية " الثواب والعقاب". لفهم هذه المرحلة علينا التعرف على المرحلة الزمنية ما بين 9–12 سنة والتي يطلق عليها اسم : " الطفولة المتأخرة " ويطلق عليها أيضا اسم مرحلة " قبيل المراهقة".

في هذه المرحلة يصبح سلوك الطفل أكثر جدية ويميز هذه المرحلة تعلم المهارات اللازمة لشؤون الحياة وتعلم المعايير الخلقية والقيم والاستعداد لتحمل المسؤولية وضبط الانفعالات وهذا يكون إعدادا لمرحلة المراهقة . ويعتبر علماء النفس ان هذه المرحلة هي من انسب المراحل لعملية التطبيع الاجتماعي ,كما ويلاحظ أيضا نمو الضمير والرقابة الذاتية على السلوك. وفي هذه المرحلة يستمر التفكير المجرد في النمو ويستطيع ان يقوم بالتفسيرات بدرجة أفضل من قبل, ويستطيع ان يلاحظ الفروق الفردية . كما ويزداد مدى الانتباه

وتزداد القدرة على التركيز وتتطور الذاكرة ويصبح بمقدوره التذكر عن طريق الفهم . ويثبت الخبراء ان الطفل بحاجة إلى تقبل السلطة لأنه يحتاج إليها, فسلوكه وتصرفاته ما زالت غير ناضجة وخبراته فجة, ولا بد ان نراعي حزمنا مع أطفالنا وان تكون معاملتنا حنونة وهي حازمة. كما وعلينا ان نراعي أيضا نقطة هامة جدا , والتي شدد عليها الخبراء في الصحة النفسية , ألا وهي عدم استخدام العقاب بمفرده كوسيلة للتعليم وإنما يجب ان يكون هناك أيضا الثواب, وكي نفهم هذا بصورة أوضح علينا ان نتطرق لقانون الثواب والعقاب في علم السلوك. لقد اهتم جمع كبير من علماء النفس بقضية الثواب والعقاب وكانت هناك عدة بحوث تجريبية في هذا الموضوع وكانت النتيجة كالأتي:

ان الثواب أقوى وأبقى أثرا من العقاب في عملية التعلم وان المدح اقوي أثرا من الذم بوجه عام. وذلك يعني انه إذا ارتكب طفل ذنب ما, وعاقبناه (ليس جسديا) يجب علينا ان نثيبه عندما يقوم بجهد أو عمل طيب. أي ان العملية تداولية وليست تقتصر على العقاب أو الثواب. وقد توصل العالم النفسي الشهير ثورندايك وغيره إلى ان اثر الجزاء – ثوابا كان أم عقاب – يبلغ أقصاه حين يعقب السلوك مباشرة , ولكن أثره يضعف كلما طالت الفترة بينه وبين السلوك . ولكي يكون الجزاء مثمرا وذو نتيجة يجب ان يكون عاجلا ومباشرا , أي حينما يقوم الطفل بعمل جيد نثيبه مباشرة لفظيا كان أم عمليا , وان أذنب علينا ان نعاقبه (ليس جسديا) مباشرة حتى يكون الجزاء مثمرا. ان العقاب المعتدل المعقول (ليس جسديا) مدعاة في كثير من الأحيان إلى اخذ الحيطة والحذر وتجنب الأخطاء . أما العقاب الجسدي القاسي والذي يجرح كبرياء الطفل أو الذي يأخذ شكل التوبيخ العلني فهو ذو نتائج سلبية ودون فائدة, بل ويزيد من

الأضرار النفسية كالكراهية, والشعور بالنقص وفقدان الثقة بالنفس والخجل. كما وان العقاب الشديد يعيق العملية التعليمة بدل من المساعدة عليها.

لذلك حينما قال محمد عليه الصلاة والسلام : " واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا " , كان يقصد الضرب الخفيف أي العقاب المعتدل , وقد أمر بذلك فقط حينما يصل الطفل إلى سن العاشرة وليس قبل ذلك , أي لا يجوز لك ضرب طفلك قبل بلوغه العاشرة , وذلك لان جميع العمليات العقلية والمعرفية تكون قد تطورت أكثر وان المبنى الجسدي أصبح أكثر تحملا . وبما ان هذه المرحلة العمرية والتي تسمى " قبيل المراهقة " هي مرحلة مهمة , إذ ان الفترة التي تأتي بعدها هي المراهقة , والمراهقة فترة حرجة في حياة الإنسان إذ يقول عالم السلوك الشهير اريكسون , ان التغيير الجوهري في مرحلة المراهقة هو الإحساس بالهوية فان تكتلت عليه المشاكل يحدث عنده ما يسمى بتشتت الدور , أي لا يعرف ماذا يريد و إلى أين يسعى . لكن إذا تمكن المراهق من التوفيق بين الأدوار المختلفة والمتنوعة , والقدرات والقيم , وإمكانه إدراك استمراريتها في الماضي والمستقبل فان إحساس الهوية لن يفسح المجال لظهور تشتت الدور . لذا فان محاولة أعداد الطفل وتعليمه بشيء من السلطة يعطي الطفل الإحساس بالمسؤولية وان الحياة ليست فوضى وإنما هناك ما يجب فعله وهناك ما يجب الابتعاد عنه . هذا الأمر يؤدي إلى أعداد الطفل لمرحلة المراهقة وهي المرحلة التي يبدأ فيها بالتقرب إلى عالم الراشدين والشعور بالمسؤولية وتوسع أبواب الحياة عليه ودخول عالم اكبر وأوسع , لذلك كان يجب عليه ان يعلم ان الحياة ليست كلها ثواب وإنما هناك شيء من العقاب, إن نحن تمادينا في اللامبالاة وعدم الاكتراث .

أما الجزء الأخير من الحديث وهو " فرقوا بينهم في المضاجع " هنا يدخل عليه الصلاة والسلام في الحياة العقلية والمعرفية والجنسية للطفل فيأمر بتفريق الذكر عن الأنثى في هذا الجيل ولكي نتعمق في فهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ان نربط ما قالة بعلم السيكولوجية الحديث في النمو الجنسي في هذه المرحلة.

ان تطور النمو الجنسي في هذه الفترة من العمر والتي يطلق عليها اسم مرحلة ما قبل البلوغ الجنسي 9–12 سنة , وتعد تحولا من حالة الكمون الجنسي إلى حالة النشاط الجنسي والذي يبدأ مع مرحلة البلوغ . وبما ان هذه المرحلة هي مرحلة انتقالية وتحولية , فعلى الإباء ان يعدوا أطفالهم لاستقبال البلوغ وذلك ببعض المعلومات والتوجيهات. فعندما يصل الأطفال إلى سن العاشرة والحادية عشر نجد ان لديهم حب استطلاع شديد عن النواحي التشريحية الجنسية والفسيولوجية والحمل والولادة والأمراض التناسلية. ان من الملاحظ ان ميلهم إلى الأمور الجنسية في هذه المرحلة يزداد , إذ ان ما يميز هذه الفترة هو الميل إلى الأمور الجنسية والتعرف عليها والعبث بها وهذا جعله الله تعالى ليكون تمهيدا لمرحلة البلوغ والتي يمكن ان تحدث فيها عملية الزواج. كما وان الانتباه في هذه المرحلة يزداد وتزداد دقته , الأمر الذي يساعده على إدراك الاختلاف بين الأشياء وإدراك الشبه أيضا بينها. نتيجة لهذا فانه يستطيع ان يقدم تفسيرا بسيطا للأمور , وهذه صورة راقية من التفكير لم نكن نلحظها في المراحل السابقة من النمو .

يقول تعالى :

"لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا " (الأحزاب,21).

مفهوم الذات في الاسلام

ان "نظرية الذات" تعتبر مدرسة من مدارس علم السيكولوجية ، وتعود لصاحبها "كارل روجرز " وهو عالم سيكولوجي وضع نظريته في نشأة الأمراض النفسية وفي الشخصية، وصاغ طريقة في العلاج النفسي تسمى بالعلاج المتمركز حول المريض. تعتبر هذه النظرية أساسا في اتجاه علم السيكولوجية الإنساني.

لدى روجرز يعتبر مفهوم الذات هو المفهوم المركزي في نظريته الذي يتكون من الادراكات والقيم والأحكام . والتي بمجموعها تعتبر مصدرا للخبرة والسلوك. ونتيجة معرفة الفرد للخبرات ذات القيمه الموجبة وذات القيمة السالبة فانه يدرك جوانب ذاته الموجبة وجوانبها السالبة. وهذا ما يسمى بتقدير الذات او مفهوم الذات .

وعندما تتعارض الخبرات التي يتعرض لها الفرد مع فكرته عن ذاته او مع دافعه الى التقدير الموجب للذات فانه يقع فريسة للصراع ، مما يسبب له القلق والتوتر . وقد يتحول القلق تدريجيا الى صورة من صور المرض النفسي.

يقول " ساذرلاند " و" سميث " في كتابهما عن الصحة النفسية انه لكي يكون الفرد متمتعا بصحة نفسيه يجب ان تتوفر فيه الامور التالية:

- انه يعمل من اجل خير الانسانية، ولكنه يقبل في الوقت ذاته اكثر الناس كما هم ، وكذلك اكثر المواقف كما يجدها في واقعها، وخاصة حين تكون امورا بسيطة.
- انه يشعر بنفسه طرفا في جماعه, وهو يحصل على الرضا في الحياة من خلال اسهامه في خدمة الاخرين اكثر مما يحصل عليه من خلال مكاسب شخصية.
- انه على وعي بعلاقته مع الوجود .

- ان يكون عنده مقدارا معقولا من الثقة بالنفس، اي انه يعرف قدراته وحدوده ويستطيع بذلك مواجهة الحياة بنجاح.
- ان يكون في شخصيته تكامل وانسجام.
- انه يواجه المشاكل واقعيا.
- ان تكون له نظرة الى الامام والى المستقبل.

ويقول " وولمان " انه من الاشياء الاساسية في الصحة النفسية للفرد هو العلاقة بين طاقات الشخص وانجازاته . والمقصود هو ما يحتمل ان يوجد من تفاوت بين ما يستطيع الفرد القيام به وما يقوم به وينجزه فعليا, ولذا يكون بين اهم الاشارات على وجود اضطراب نفسي هو عدم تمكن الفرد من جعل طاقاته الجسدية والنفسية امرا واقعيا بحيث تعمل في كامل حدود ما تستطيعه . ويذكر " شنايدرز " تسع نقاط يعتبرها المعايير الاساسية للصحة النفسية من اهمها :

- المفهوم السليم حول الذات .
- وعي الذات المناسب .
- العلاقة المناسبة مع الدافع .

وفي دراسة للعالم " سكوت " يعرف فيها الصحة النفسية والمرض النفسي يحدد عدة نقاط يجب ان تتوفر في الشخصية لكي تكون سليمة من الناحية النفسية ومن اهمها ذكر:

- الإستقلال الذاتي.
- الموقف المناسب مع الذات .

تلخيصا لذلك فان مفهوم الذات هو اساس الصحة النفسية للفرد , لذلك على الانسان ان يكون مفهوما ايجابيا عن ذاته كي يتمكن من التكيف مع المحيط. هذا توصل اليه الخبراء النفسيون بعد جهد كبير من الابحاث والمراجعات والتجارب , ان السلوك السوي او السلوك المضطرب يتعلق بمدى فهم الفرد لذاته , ومن توصل الى فهم ذاته فقد فاز برحمة الله , اذ جنبه الله تعالى الاضطراب والمشاكل في السلوك والنفس . من هذا المنطلق قال محمد صلى الله عليه وسلم قبل زمن بعيد حديثا شريفا يلخص لنا فيه كل هذه الفكرة:

" رحم الله امرءا عرف قدر نفسه " .

اي من استطاع يعرف ذاته وقدراته وامكانياته بالشكل السليم وان يوازي بين هذه القدرات وبين ما يتطلع اليه فانه يصل الى رحمة الله تعالى .

سيكولوجية محمد (صلى الله عليه وسلم) في التنشئة الاجتماعية

لقد تطرقت الكثير من الابحاث السيكولوجية الى اهمية العلاقة بين الطفل والبيئة الخارجية ومدى تاثيرها على سلوكه . اذ ان هذه العلاقة تلعب دورا كبير في تكوين وبناء شخصيته .

تشير البحوث والتجارب الى ان الطفل حينما يولد يكون كالورقة البيضاء لا يمتلك الا الغرائز الاولية , التي تساعدة على الحياة . ثم مع مرور الزمن يحدث عنده ما يسمى بالتنشئة الاجتماعية اذ عن طريق تفاعل الوليد مع البيئة يستطيع ان يعدل سلوكه ويكتسب مهارات حركية ومعرفية لم تكن موجودة لديه حين ولادته , وقد بحث الخبراء في علم السلوك هذا الموضوع ووجدوا فعلا ان الطفل يولد وليس في حوزته شيء من المعرفة سوى كما ذكرنا غرائز اولية .

والوليد البشري في حالة يمكن وصفها بالجهل التام . ولكن سرعان ما يبدا في اكتساب معلومات عن نفسه وقدراته وميوله وعن عالمه وطبيعته وقواعده, وليس هناك مفهوم لديه عن الصواب والخطا وانما عن طريق التنشئة الاجتماعية يتعلم ذلك. ويكتسب الطفل القيم والثقافة من خلال اعمال ينجزها بتفاعله مع البيئة المادية و الاجتماعية , فيؤثر عليها ويتاثر بها.

ووفق للابحاث يمكن تصنيف سلوك الطفل حديث الولادة الى ثلاث اشكال:

السلوك العشوائي: وهو السلوك الذي يصدر عن الوليد, كالحركات الجسدية والعضلية بشكل عشوائي وتلقائي دون ربطه مع مثير محدد.

الافعال المنعكسة: وهي عبارة عن تحرك عضلات الوليد بطريقه الية وبلا ارادة, وهي الحركات التي ليس لها هدف, وتساعد الطفل على التكييف مع البيئة الخارجية.

الاستجابات المتخصصة: وهذه الاستجابات تلاحظ عند الوليد في الايام الاولى من حياته, وهي ما يصدر عن الطفل دون تعلم, وتساعده على الحفاظ على حياته.

وكلما نمى الطفل , كلما اكتسب وتعلم من محيطه عن طريق التنشئة الاجتماعية والتي خلالها يتحول الوليد البشري من طفل رضيع يعتمد اعتمادا كليا على المحيط , الى عضو في مجتمع يساهم في بناء الحياة الاجتماعية وتطورها , كما وتقوم التنشئة الاجتماعية باعداد الطفل للحياة في المجتمع .

ان الطفل يكتسب ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه, وهي لا تحدث بشكل تلقائي, وانما كنتيجة لحياة الطفل في وسط انساني اجتماعي له ثقافته. وبدونها يبقى الطفل على مستوى اقرب الى مستوى الحيوان . ولكي نفهم ذلك نشير الى الاطفال الذين وجدوا في الغابات , والذين حرموا من الخبرات الانسانية والثقافية , اذ ان هؤلاء بشر مثل كل

البشر , لكنهم لم يمروا بمرحلة التنشئة الاجتماعية في وسط انساني , وبهذا نجد سلوكهم اقرب الى سلوك الحيوان , وقد اطلق على مثل هذه الحالات " بالانسان المتوحش". قد تبين ان هؤلاء الاطفال الذين عاشوا في الغابات جميعهم بكم , ويسيرون على اربع , وجميع حواسهم وسلوكهم تتماثل مع حواس وسلوك الحيوانات .

لقد اوردنا هذه الامثلة كي نرى اهمية التنشئة الاجتماعية للانسان وان الانسان يولد دون معرفة , ومع مرور الزمن ونتيجة وجوده في وسط انساني يستطيع ان يتعلم ويكتسب مهارات كثيرة تساعده على التكييف مع البيئة . في هذا الامر يقول الاسلام ما قاله سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف :

روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه , ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" كل مولود يولد على الفطرة , فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه " .

لو نظرنا الى هذا الحديث بنظرة تعميمية لوجدنا ان محمد عليه الصلاة والسلام يضع لنا نظرية واسعة وذات معنى شامل وذلك لكونه يشير الى اهمية التنشئة الاجتماعية ودورها الفعال في حياة المولود البشري .

معاملة الأطفال في الإسلام

سوف نبحث وجهة نظر الاسلام في الامور التالية :

1- محبة الطفل في الاسلام :

ان الحاجة الى الحب والمحبة هي من اهم الحاجات النفسية والانفعالية التي يحتاجها الاطفال. فالطفل يسعى الى ان يشعر انه محب ومحبوب. فان هذا الشعور المتبادل بينه وبين ابويه واخوته مهم جدا لصحته النفسية.

عادة يميل الاطفال الى ان يكونوا محبوبين ومرغوب فيهم , ويسعون لان ينتموا لجماعة و بيئة اجتماعية صديقة , فالحنان حاجة ماسة له والطفل الذي لا يشبع هذه الحاجة يعاني مما يسمى بالمصطلحات النفسية "الجوع العاطفي " وهذا الشيء له تاثير بالغ السوء على النمو النفسي لدى الاطفال , فقد يتحول الى عدواني او منحرف سلوكيا او منطوي .

ان محبة الوالدين لابنائهما هي امر مهم جدا , وعلى الاهل ان يظهروا لاطفالهم هذا الحب دون تفرقة بينهم. ان الطفل يحرص على ارضاء من حوله بما يجلب له السرور ويكسبه حبهم وتقديرهم وترحيبهم , ويحاول ان يكون موضع تقدير وقبول واعتراف, وتلعب عملية الحياة الاجتماعية دورا هاما في اشباع هذه الحاجة. لذلك على الاباء مراعاة المساواة في التعامل مع الاطفال وذلك ما اكده الكثير من الخبراء في علم السلوك .

يرى الاسلام ان هناك بعض النقاط التي تساعدنا في تعاملنا الصحيح مع اطفالنا , فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف:

روى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ان اباه اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اني نحلت ابني هذا – اي اعطيته – غلاما كان لي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اكل ولدك نحلته مثل هذا ؟"

فقال : لا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فارجعه " .

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " افعلت هذا بولدك كلهم؟".

قال : لا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اتقوا الله واعدلوا في اولادكم".

ان ظاهرة المفاضلة بين الاولاد لها تاثير سلبيا , لانها تولد الحسد والكراهية , وتسبب الخوف والخجل , وتؤدي الى كثير من المشاكل السلوكية .

كما وان تصرفات الاباء وسلوكهم نحو اطفالهم قد يزيد من التوتر لدى الاطفال , فقد يؤدي البعض الى البلبلة لدى الطفل وذلك يتضح عندما يمسك الوالد طفله بين يديه ثم يبعده عنه فجاة دون سابق انذار لانه " مبلل " او " متسخ " او عندما يصرخ احد الوالدين في وجه الطفل لانه احدث ضجة او فوضى ويلومه كثيرا على ما يفعل من اخطاء .

كل هذا قد يشعر الطفل بالتردد في كل ما يفعل . وكما هو معروف ان الطفل لا يستطيع ان ينظر من وجهة نظر الاخرين اذ ان تفكيره متمركزا حول ذاته , ولا يستطيع ان يتفهم وجهة نظر والديه فيما يقولونه له .

ونتيجة لهذا الامر قد يحدث خلل في العلاقة بين الطرفين , وايجاد جو من التوتر والاحباط. ان للطفل عالمه الخاص به ونحن بحاجة الى ان نعامله باللين والحنان والعطف , لا بالصراخ والاوامر والنواهي . لانه دون جدوى لا يفهم ما نرمي اليه تماما , بل قد تكون النتيجة عكسية, ومن المؤكد ان الجو العام الذي يسود عملية الحياة الاجتماعية للطفل هو الذي يؤدي الى السلوك السوي او اللاسوي .

ومن وجهة نظر الاسلام فقد حث على معاملة الاطفال بالمحبة والمودة لانهم بحاجة الى ذلك وخاصة من ابويهم.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : " قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم , الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم , وعنده الاقرع بن حابس التميمي , فقال الاقرع:

ان لي عشرة ما قبلت منهم احدا قط.

فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: " من لا يرحم لا يرحم".

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت:

جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

- انكم تقبلون الصبيان , وما نقبلهم !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" او املك ان نزع الله الرحمة من قلبك؟! "

هنا نرى ان الاسلام يحث على التعامل مع الاطفال باللين وان نبتعد عن التعنيف والقسوة والمعاملة الفجة في تعليمهم الاشياء , فالاسلوب المبني على الاذلال والعنف والمنع والكف واصدار الاوامر والنواهي يعرض الطفل الى الوان شتى من الصراعات المصحوبة بشعور غامض من القلق وعدم الثقة والخجل والشك ,وهذه الامور من المحتمل ان تستفحل تدريجيا الى ان تصبح خطرا يهدد الطفل وكيانه .

روى الحارث والطيالسي والبهيقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" علموا ولا تعنفوا فان المعلم خير من المعنف " .

2- سيكولوجيا الاسلام في اللعب مع الاطفال

يعرف اللعب في علم السيكولوجية على انه سلوك يقوم به الاطفال لا يقصد من ورائه هدفا او غاية. واللعب يعتبر من اهم الوسائل لدى الطفل للتعرف على المحيط الانساني. وهو من الوسائل الهامة التي يعبر فيها الطفل عن نفسه وعما يختلج في اعماقه .

للعب اهمية عظمى في تقويم السلوك وتعديله وبناء الشخصية . وللعب عدة مراحل وفقا للخبراء في علم السلوك تسير قدما بقدم مع مراحل العمر الزمنية .

مرحلة الرضاعة وحتى سن الثالثة يكون اللعب فرديا استجابة لحاجة الطفل فقط .

ومن سن 3–4 سنوات يكون لعب الطفل موجه الى نفسه , وفي بعض الاحيان مع الاخرين ولا يوجد اثر للمنافسة او التعاون .

بعد سن الرابعة يسمى ما يقوم به من لعب باللعب الايهامي . ومع تقدم السن يكون الطفل اصدقاء اللعب , حيث يعتبرون كمجتمع لعب عن طريقه يتعلم الطفل بعض العادات الاجتماعية كمراعاة الادوار واحترام افكار الاخرين .

في السيكولوجية هنالك العديد من النظريات التي تفسر عملية اللعب لدى الاطفال نذكر منها :

– نظرية الطاقة الزائدة : حيث ينظر الى اللعب على انه تنفيس للطاقة الزائدة عند الفرد لا غير .

– النظرية الغريزية : اذ ان بعض الغرائز لا تظهر دفعة واحدة وانما بالتدريج , لذلك يكون التعبير عنها بواسطة اللعب , والذي يتيح الفرصة لتهذيب وتدريب ممارسة الانشطة الغريزية الضرورية , وقد قال جروس ان الغريزة بعيدة النظر تعمل حساب المستقبل فتعلم الطفل عن طريق اللعب ان يعد نفسه.

– نظرية تجديد النشاط باللعب :

اذ ينظر الى اللعب على انه وسيلة لتجديد النشاط حين يشعر الفرد بالتعب من العمل . كما وانه للعب اهمية نفسية كبيرة اذ يطلق الطاقة العصبية والتي ان لم تطلق تجعل الطفل في حالة توتر وتهيج . ويساعد اللعب كذلك على اشباع حاجات الطفل النفسية , كحاجته الى التملك, حيث يمتلك لعبة ويشعر بان هناك اجزاء من محيطه يستطيع ان يسيطر عليها. وترى الخبيرة النفسية ماري بولاسكي انه من الافضل ان نزود الطفل

بادوات كثيرة وغير محدودة ليلعب بها حتى ننمي لديه الابتكار والخيال , الامر الذي يساعد على نمو الذكاء لديه . ويعتبر اللعب كذلك سلوك استطلاعي واكتشافي لدى الاطفال .

لقد كان دور الاسلام هام في هذه النقطة , اذ شجع على اعطاء الفرصة للطفل بان يلعب, والسماح له بان يمارس جميع نشاطات اللعب . فقد اهتم الاسلام بهذه المسالة لكونها مهمة في تنمية الطفل وتقويمه وتربيته , فنجد الكثير من احاديث محمد صلى الله عليه وسلم والتي تحث على السماح للاطفال بممارسة اللعب دون الوقوف ضدهم .

عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصُف عبد الله وعُبيد الله بن العباس رضي الله عنهم ثم يقول: " من سبق الي فله كذا وكذا ", قال : فيستبقون اليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم .

في هذا المشهد الرائع من مشاهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يعلمنا ان اللعب مع الاطفال امر له اهمية وليس امراً عبثاً , اذ يكسبه المهارات اللازمة له ولحياته .ولم يعارض ابداً الاسلام الحنيف اللعب مع الصغار .لكون اللعب نشاط هام في الحياة الطفولية .

وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم , فدعينا الى الطعام فاذا الحسين رضي الله عنه يلعب في الطريق مع الصبيان . فاسرع النبي صلى الله عليه وسلم امام القوم ثم بسط يده فجعل يفر هاهنا وهاهنا فيضاحكه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى اخذه فجعل احدى يديه في ذقنه والاخرى بين راسه واذنه , ثم اعتنقه وقبله ثم قال: " حسين مني وانا منه !! احب الله من احبه , والحسن والحسين سبطان من الاسباط " .

ان هذه المشاهد تدل على موقف ايجابي من رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه مداعبة الاطفال واعطائهم الفرصة ليمرحوا ويلعبوا , كما وانه على المسلم ان يبادر في مداعبة الاطفال واللعب معهم , فهذه تعتبر علاقة اجتماعية ذات فائدة كبيرة في تقويم وبناء شخصيتهم .

سيكولوجية الشخصية المسلمة

على ماذا يبنى السلوك ؟

الدافع هو حالة داخلية, جسمية او نفسية, تثير السلوك في ظروف معينة, وتواصله حتى ينتهي الى غاية معينة. وللدافع معان كثيرة في اللغة العربية منها: الحاجة, الحافز, الباعث, الميل, النزعة, الرغبة, العاطفة, الاتجاه, الغرض, القصد, النية, الارادة . والدوافع هي عبارة عن حالات لا نلاحظها مباشرة بل نستنتجها من الاتجاه العام للسلوك الصادر عنها. ودوافع الانسان لا عد لها ولا حصر , مثل : الجوع , العطش, الخوف , الغضب, الحب , الكره, الحاجة الى الامن والحاجة الى التقدير الاجتماعي . ومنها ايضا الشعور بالنقص والشعور بالذنب والشعور بالقلق وما يحمله الفرد من عقد نفسية مختلفة.

ويشير علم السيكولوجية الى ان الدوافع تقسم الى قسمين :

اولاً الدوافع الشعورية والتي يفطن الفرد الى وجودها , كرغبتك في السفر الى بلد معين .

ثانياً الدوافع اللاشعورية حيث لا يفطن الانسان الى وجودها كالدافع الذي يحمل الانسان على نسيان موعد هام .

يقول بعض العلماء : " ان الدافع عبارة عن قوة محركة موجهة اذ يشير السلوك الى هدف او غاية معينة وتاتي اهمية الدوافع من انها اساس التعلم واكتساب الخبرة , كما

وانها الاساس في اتصال الفرد بالعالم المحيط به , بل ان شخصية الفرد في جزء منها على الاقل , تقوم على اساس تنظيم الدوافع , وعلى اساس الطريقة التي تعلم الفرد ان يشبع بها دوافعه".

ولكي نفهم بوضوح معنى الدافع علينا ان نوضح العلاقة بين هذا المصطلح وبين معنى المصطلحات التي تستخدم لوصف حالات الدافعية , ومن هذه المصطلحات والتي ذكرناها مسبقا , والتي تعتبر كمرادفة للفظ دافع , الا ان علماء السلوك يميزون كل مصطلح ومصطلح , مع انها في النهاية تاخذ المعنى العام والشامل للدافع .

المثير , يمكن القول ان المثير هو المسبب الى السلوك وذلك عن طريق المستقبلات الحسية.

الحافز , وهو الدافع الفطري الذي يوجه سلوك الانسان .

الحاجة , الشعور بالاحتياج والعوز.

الميل , هو الدافع عندما يثار في المجال الاجتماعي, كالميل الى الاجتماع للاخرين.

النزعة , وهو الميل عندما يتضح في شعور الانسان وادراكه.

الرغبة , وهي النزعة عندما تكون اكثر وضوحا في سلوك الفرد وشعوره.

العاطفة , وهي النزعة عند تقوى وتستقر بفعل الشحنة الانفعالية, كالعاطفة التي يكونها الطفل نحو امه.

الباعث, وهو المثير الخارجي.

الهدف , وهي الغاية التي يتجه اليها السلوك الذي يثيره الدافع .

اجمالا فان الدافع هو المسئول عن سلوك الانسان ولا يمكننا القول ان هناك سلوكا يصدر عبثا, بل لا بد من وجود دافع وراءه.

لذلك كان موضوع الدوافع من اهم موضوعات علم السيكولوجية . اذ يرتكز سلوك الانسان ككل على الدوافع المختبئة وراءه .

لقد فسرت الشريعة الاسلامية نظرية الدوافع بقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : " انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى " .

مميزات المسلم :

سنلقي الضوء على بعض الزوايا في شخصية الفرد المسلم . وما هي الميزات التي يحث الاسلام عليها في شخصية المسلم حتى يستطيع ان يتكيف مع البيئة والمحيط , وكذلك الميزات الغير مرغوب فيها والتي وان غلبت عليه ستؤدي الى عدم التكييف وبالتالي الى الاحباط.

ان الشخصية الانسانية مبنية من دفتين ايجابية وسلبية ولكي يصل المسلم الى الشخصية السوية والصحة النفسية يجب ان ترجح لديه الدفة الايجابية.

الدفة الايجابية :

ضبط النفس, الاتحاد والتعاون, الاستقلالية, الاعتراف بالخطا, الامر بالمعروف والنهي عن المنكر , الاجتهاد , مراقبة النفس, الامانة, العلم, العمل.

الدفة السلبية :

التشاؤم , الكبرياء, الفساد, الكذب, سوء الظن, الغش, السلبية, الانانية, الاتكالية , الشك.

الدفة الايجابية من الميزان :

1- ضبط النفس .

ان الاسلام وضع هذه الميزة للمسلمين وطالبهم بان يتمسكوا بها لانها صوره سلوكيه تساعد المؤمن على التكييف مع شروط الحياة . فالانسان المؤمن الحق هو ذلك صاحب النفس الابية القوية التي تترفع عن الدنايا وعن النقائص والصغائر وتترغب عن الرذائل.

ولقد ذكر القران الكريم صورة من صور ضبط النفس اذ قال تعالى في كتابه الكريم:

".. والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين "(سورة ال عمران, 134).

فالمسلم اذا استطاع ان يضبط نفسه ويتحكم بها ويسيطر عليها فهو من المحسنين . كما ان كظم الغيظ اذا صحبه العفو كان ذلك دليلا على حسن النية, فمقاومة الانفعالات النفسية ومطاردة الهواجس الشيطانية ذلك هو الايمان بالله.

ايضا هناك صور اخرى تبين ان الاسلام الحنيف يحث على ضبط النفس والسيطرة عليها فنرى رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول :

" ليس الشديد بالصرعة , انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب".

والعفو عند المقدرة هو صوره من صور ضبط النفس في الاسلام, اذ يقول تعالى:

" وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية فاصفح الصفح الجميل " (سورة الحجر 85).

والصفح الجميل هو بمعنى العفو دون عتاب . والعفو اقرب للتقوى مع الاقارب والجيران وتحمل الاساءة وضبط النفس حينها , يقول تعالى :

" ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم " (سورة فصلت 34).

وناتي بقصه كمثال على صورة من صور ضبط النفس عند المسلمين:

ذلك كان في عهد رسول صلى الله عليه وسلم حينما شتم اعرابي ابا بكر الصديق رضي الله عنه في حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام وابو بكر ساكت ولما لم يسكت الرجل اخذ ابو بكر يرد عليه , فقام الرسول من المجلس , فقال ابو بكر لرسول الله :

لم قمت حين اخذت ارد على الرجل ؟ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام :

" يا ابا بكر لما سكت كان هناك ملك يدافع عنك فلما ابتدات تنصف نفسك ذهب الملك وجاء الشيطان , ولم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان ".

وهكذا كان محمد عليه الصلاة والسلام يعلم اصحابه الصبر والاحتمال وتمالك النفس حين الغضب .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

" ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور " (سورة الشورى43)

ومن الخير ان يكون المؤمن قويا امام نزواته ونزعاته توابا اوابا الى ربه الذي يعلم ما تكسب كل نفس وهو القائم على النفس البشرية بما كسبت وهو الذي خلق الانسان فسواه والهمه فجوره وتقواه.

2– الاتحاد والتعاون.

عن ابي ذر جندب بن جناده رضي الله عنه قال : قلت :

يا رسول الله اي الاعمال افضل ؟ قال : " الايمان بالله والجهاد في سبيله " , قلت: اي الرقاب افضل ؟ قال :

" انفسها عند اهلها واكثرها سمنا " , قلت : فان لم افعل ؟

قال : " تعين صانعا او تصنع لا فرق ", قلت: يا رسول الله ارايت ان ضعفت عن بعض العمل ؟ قال : " تكف شرك عن الناس فانها صدقه منك على نفسك".

في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام نجد مدى حثه على التعاون والاتحاد الذي يؤدي الى سعادة الفرد في الجماعة .

وفي القران الكريم نجد صور كثيرة تحث على التعاون بين المسلمين كي يتمكنوا من الوصول الى حياة نشطه وفعاله, اذ يقول تعالى:

" ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون " (ال عمران104).

من خلال هذه الايات القرءانية نرى ان الله تعالى يطالب المؤمنين بان يتعاونوا على البر والتقوى وان يتحدوا فيما بينهم لان الجماعة افضل من الفرد والتعاون يساعد الفرد على الحياة ومن طبيعة الانسان السليم ان يشعر بطمانينة وراحة نفسيه في جماعه تعينه وتحترمه وتقدره وتشعره بذاته فالانسان الذي يعمل في جماعه ويتقن عمله سوف يشعر انه مرغوب فيه بالتالي يتمكن من تكوين فكره ايجابيه عن نفسه وذاته فيكون سوي الشخصية اذ ان السمة المركزية في الشخصية السوية كما عرفها الخبراء في علم السيكولوجية هي الفكرة الايجابية عن الذات.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

"يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب "(سورة المائدة, 2).

ويقول محمد عليه الصلاة والسلام : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى".

فقد سعى رسول الله عليه الصلاة والسلام في تاليف قلوب المسلمين وتوحيدهم فكان ينزل الى مستوى الناس ولا يجعل فارقا بينه وبين واحد منهم.

التعاون والاتحاد هما صفتين من صفات المسلم التي تساعده على التكييف مع الشروط الاجتماعية وتوصله لحياة نفسيه سليمة وسويه.

يستخدم علماء النفس طريقة علاج نفسيه متبعه في طرق العلاج النفسي يطلق عليها اسم العلاج النفسي الجماعي والتي تساعد المريض على الخروج من حالته عن طرق اختلاطه بالجماعة والتعاون معهم.

3- الاستقلالية.

ظل محمد عليه الصلاة والسلام حريص على غرس الاستقلاليه في نفوس اصحابه .نرى ذلك في حديثه الشريف حينما قال :

" لا يكن احدكم امعه فيقول ان احسن الناس : احسنت " .

لهذا الحديث معنا عظيما يجب ان يفقهه كل ذي عقل . اذ له دلالة سيكولوجية كبيره في كونه يرفض السلوك التطفلي ويأبى ان تقاد النفس البشرية دون فهم وهدف . ان الاسلام يحث على الاستقلالية في الراي والتفكير واستنباط النتائج دون التعلق التام برأي الاخرين .

في علم السيكولوجية الحديث اكد الباحثون على ان الاستقلالية في التفكير والراي هي سمه ايجابيه ومهمة جدا في شخصيه الانسان السوي. وعلى المربين ان ينموا هذه الصفة لدى الاطفال منذ الصغر .

4- الاعتراف بالخطا.

هذه صفة من الصفات التي حث الاسلام عليها , وطالب ان تكون من صفات الانسان المسلم. اذ على الفرد ان يعترف بخطئه وذنبه وان يقلع عنه ويصحح مساره .

يقول محمد صلى الله عليه وسلم مشجعا على الاعتراف بالخطأ وتصحيحه مباشرة في حديث شريف : " واتبع السيئة الحسنه تمحها".

ان الذين يخطئون ولا يقرون بخطاهم او يقرون بذلك ولكن لا يقلعون عنه ولا يصححونه فيقول فيهم رسول الله عليه الصلاة والسلام :" كل امتي معافى الا المجاهرين " والمجاهرون هم المجرمون الذين ياتون المعاصي ثم يعترفون بها غير مبالين.

الانسان المسلم الذي يعترف بخطئه وذنبه تم يقلع عنه ويصححه له مغفرة من الله , اذ يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

" قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم "(سورة غافر 53.)

ويقول محمد صلى الله عليه وسلم مثبتا ان من يعترف بخطأه ويطلب الصفح يغفر له : "التائب من الذنب كمن لا ذنب له ".

يحث الاسلام على الاعتراف بالخطا ومحاولة تصحيحه والاقلاع عنه . ويقول جمع من الخبراء في علم السيكولوجية ان الفرد الذي يعترف بخطئه يتحاشى الوان شتى من القلق والتوتر النفسي , لانه بهذه العملية يحاول الابتعاد عن الفشل والاحباط اذ يصحح خطاه ويسلك طريقا اخر فيه قد يشعر بالنجاح والثقة النفسية . اما ذلك الذي لا يعترف بخطئه ويستمر فيه فانه سيتعرض دون ادنى شك الى الفشل وبالتالي الى

الاحباط الامر الذي سوف يؤدي الى تعقدات ومشاكل نفسيه عديدة كالقلق والتوتر وعدم الثقة بالنفس وبالاخرين وفي احوال عديدة قد يصل الفرد الى مستوى المرض النفسي نتيجة عدم اعترافه باخطائه .

5- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

من السلوكيات التي يطالب بها الاسلام هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ,اذ يؤدي هذا الى تماسك الجماعة والدفاع عنها وتصحيح مفاهيم الحق .

يقول تعالى في القرآن الكريم:

" كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله"

(سورة ال عمران, 110.)

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : " سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : " من راى منكم منكرا فليغيره بيده, فان لم يستطع فليغيره بلسانه, فان لم يستطع فليغيره بقلبه وذلك اضعف الايمان " رواه مسلم .

في هدا الحديث يحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويطالب المسلم بالمبادرة في ذلك . فالمبادرة صفة هامة في تركيب الشخصية الاسلامية اذ يقول احد الخبراء النفسيين ان الانسان المبادر يتمتع بشخصيه قويه ويمتلك ثقة كبيرة في نفسه. الشخصية المبادرة هي الشخصية الفعالة في المجتمع وهي التي تساعد على ابتكار الكثير من الحاجات الحياتية فلولا المبادرة لتحولت المجتمعات الى مجتمعات خاملة ومتقاعدة .

6- الاجتهاد .

ان الاجتهاد صفة من الصفات التي شجع عليها الاسلام ورغب فيها , وطالب المسلم اللبيب ان يعمل عقله وان يفكر مليا في حل الامور الصعبة التي تحتاج الى الحكمة والحنكة .

اذ يروى عن القاضي شريح عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال له عندما ولاه قضاء الكوفة : " اقصد بما استبان لك من قضاء رسول الله , فان لم تعلم كل اقضية رسول الله فاقض بما استبان لك من ائمة المجتهدين فان لم تعلم فاجتهد برايك واستشر اهل العلم والصلاح " .

هنا نرى ان الاسلام يطالب الفرد المسلم باستخدام عقله في جميع الاحوال وعليه ان يفكر ويستشر من هو اهل للاستشارة حتى يتوصل الى الحل السليم . يقول احد الحكماء من استشار الناس شاركهم في عقولهم .

7- مراقبة النفس .

المقصود من مراقبة النفس هو ان يتعود المسلم على ملاحظة نفسه في كل وقت كان , عليه ان يراقب نفسه وقت الكلام والعمل وكل حركاتها وسكناتها , عليه ان يتابعها ويصححها ويراجعها حينما تخطئ او حينما تهم بالخطأ , وعليه ايضا ان يسعى بان تكون نشيطه فعاله قويه مجتهدة في الخير . يجب ان يمنعها من السوء والرذيلة ويدفعها الى الطيب من القول والعمل. يقول رب العزة في كتابه العزيز :

"ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا" (سورة الاسراء 29 .)

ويقول صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف :

" اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء , ميالة الى الشر, فرارة من الخير , وامرت بتزكيتها وتقويتها , وعليك ان تقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها , وان تمنعها من شهواتها , وان تفطمها عن لذاتها , فان اهملتها حجمت وشردت ولم تظفر بها بعد دلك , وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعدل والملامة , كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله بها , ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضيه , فلا تغفلن ساعة تذكيرها او معاتبتها , ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك . فقد اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : (يا ابن مريم , عظ نفسك , فان اتعظت فعظ الناس , والا فاستح مني) ".

ويقول علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه : " من نصب نفسه اماما للناس بدا بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ".

ويقول علماء السيكولوجية ان الشخص الذي يراقب نفسه يتوصل الى فهم ذاته وهذا بدوره يعطيه القدرة على التكييف مع المحيط.

ومن الامور الهامة في تعديل السلوك الانساني كما يذكرها خبراء علم النفس هي مراقبة السلوك.

8- الأمانة .

يقول الله تعالى في القرآن الكريم مطالباً المسلمين بالامانة :

" ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا " (سورة النساء 58.)

ان الامانة صفة ايجابية في تكوين الشخصية الانسانية ويحث عليها الاسلام , فالامين هو ذلك الانسان المرغوب فيه في الجماعة هذا مما يشعره بمدى ايجابيته ويؤدي بالتالي الى تحقيق ذاته , وتحقيق الذات سمة من سمات الصحة النفسية . بالاضافة الى اكتساب الثقة بالنفس لان الامانة تعطي صاحبها صفة الصدق وثقة الناس .

9- العمل .

عن رسول الله عليه الصلاة والسلام انه قال:

" ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فياكل منه طيرا او انسان الا كان له به صدقه".

ان المسلم مطالبا بالعمل والاجتهاد والمثابرة في الحياة وعدم الخمول والكل والجلوس دون عمل.

ولقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله : " ان الرجل ليعجبني فاسال عن حرفته فيقال : لا عمل له فيسقط من عيني " .

والواقع ان الاسلام كره البطالة وانتقص من اصحابها وجعل شرار الناس اولئك القاعدين عن العمل , الطاعمين من غير جهد , الناعمين من غير كفاح, المنشغلين في الثرثرة واللغو في الكلام كي يضيعوا وقتهم .

قال محمد صلى الله عليه وسلم :

" اشرار امتي اللذين ولدوا في النعيم وغدوا به ياكلون من الطعام الوانا ويتشدقون في الكلام".

كما ان الاسلام جعل اخيار الامه واعز ابنائها اولائك الذين يوفون رسالة الحياة ويؤدون ضريبة الصحة والعافية وينتجون في حياتهم ويحولون التراب خيرا وبركه قال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

" ما كسب رجل كسبا اطيب من عمل يده " .

وروي ان الرسول امسك يدا ورمت من كثرة العمل وقال : " تلك يدا يحبها الله ورسوله " كما وقال: " من امسى كالا من عمل يده امسى مغفورا له ".

ويقول الله تعالى في كتابه العزيز:

" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون " (سورة التوبة 105).

كما ان الشخصية الفعالة ليست كالشخصية الخاملة , فالعمل يساعد على التعاون والمشاركة في المجتمع الامر الذي يساعد الفرد على تحقيق ذاته وشعوره بالنجاح والاستمرارية . يقول عالم النفس ماسلو ان الانسان ينزع دائما الى حاجة تحقيق الذات . وتحقيق الذات يكتسب من العمل المنتج.

10- العلم.

يقول الله تعالى في القران الكريم :

" يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير " (سورة المجادلة 11).

ويقول ايضاً :

" شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم " (ال عمران 18.)

ان الصفة المهمة في شخصية المسلم والتي تساعده على الحياة والتقرب الى الله هي العلم اذ ان اول اية انزلت في القران الكريم طلبت من الفرد المسلم ان يتعلم ويقرأ, لما في ذلك من فوائد له ولمجتمعه.

يقول الله تعالى:

" اقرا باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرا وربك الاكرم *الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم "(سورة العلق 1–5)

فالدعوة الى العلم والتعلم صاحبت الدعوة الاسلامية منذ اللحظة الاولى, اذ يقول رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم:

" فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب".

ويقول كذلك:

" فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم "

ويقول ايضا عليه الصلاة والسلام :

" طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ".

من هنا على المسلم ان يسعى الى العلم والتعلم حتى يتمكن من انارة طريقه ومسعاه, ويطالب الاسلام الفرد المسلم بنشر العلم وعدم كتمانه حتى يتمكن الاخرين من الاستفادة منه, لقوله تعالى:

" ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون". (سورة البقرة 159)

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

" العلماء ورثة الانبياء ".

كما ويبين عز وجل مدى اهمية العلم في الاية التالية :

" قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب " (الزمر 9).

ان العلم يؤدي الى فهم افضل للحياة ويعطي الامكانية للتكييف معها ومع متطلباتها وبالتالي يساعد هذا على الوصول الى ما يرجى من السلوك السوي.

هذا بالنسبة للدفة الايجابية من ميزان الشخصية اما الدفة السلبية فيمكن حصرها في النقاط التالية :

1- التشاؤم :

من العادات الموروثة ان يتشاءم الناس من بعض الامور , فيبعده هذا عن الاعمال النافعة , ويحول دون جلب النفع او دفع الضرر دون مبرر , وهو من السلوكيات السلبية ان وجدت في شخصية الانسان.

من هنا كان لا بد للشريعة الاسلامية ان تضع حد لهذا العامل النفسي الضار, فعقب قوله صلى الله عليه وسلم: " لا عدوى " بقوله : " ولا طيره" اي ولا تطير, والتطير هو التشاؤم بام عينه.

وقد كان العرب في القدم يطيرون طائرا, اذا نوا شيئا, فان طار يمينا تفاءلوا وتيامنوا ومضوا الى حاجتهم, اما ان طار جهة اليسار قعدوا ولم يفعلوا شيئا. ومن هنا جاءت كلمة " التطير ". وقد وصف الرسول محمد صلى الله عليه وسلم المضي في المطلوب علاجا للتشاؤم, فقال :

" ان في الانسان ثلاثة, الطيرة والظن والحسد, فمخرجه من الطيرة ان لا يرفع, ومخرجه من الظن ان لا يحقق, ومخرجه من الحسد ان لا يبغي".

اما التفاؤل فقد طالب به الاسلام لانه يساعد الانسان على العمل الجاد والانتاج.

2– الكبرياء:

يقول الله تعالى في الحديث القدسي :

" الكبرياء ردائي والعظمة ازاري , فمن نازعني فيهما القيته في جهنم ولا ابالي " .

فالكبرياء داء خطير واذا حل بشخصية اهلكها واوصلها الى ما لا ترغب فيه . وهي من افات المجتمعات في كل زمان , ويؤدي الى الحقد والبغضاء بين الناس .

ان استعظام النفس واحتقار الغير من اشد الصفات الممقوتة , والتي تاباها النفس الصحيحة وتفر منها , ويقول عز وجل :

" ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين " (الاعراف 146.)

ويقول محمد صلى الله عليه وسلم :

" ان الله لا ينظر الى من يجر ازاره بطرا , ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ", قيل : يا رسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا , قال: " ان الله جميل يحب الجمال , الكبر بطر الحق , وغمط الناس " رواه مسلم .

ويقول ايضا عليه الصلاة والسلام:

" لا يزال الرجل يتكبر ويذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم " رواه مسلم.

3– الفساد

يقول الله تعالى في منزل تحكيمه:

" واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون * الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ".(البقرة 11–12).

ولقد توعد الله عز وجل المفسدين بعذاب في الدنيا, وطرد من رحمته, حيث قال:

" الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون"(الرعد,27)

وقد حذرت الشريعة الاسلامية كل فرد من الامة الاسلامية من الخوض في الفساد وافساد ما اصلحه الغير.

وحث الدين على الابتعاد عن هذه الصفة السلبية, وشجعه على الاصلاح والتعمير حيث قال الله تعالى:

" ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين " (الاعراف 56).

ان الشخصية المنتجة والمعطاءة للنفع والخير افضل وخير من الشخصية المفسدة, اذ ان الاولى تسير على درب النجاح والتقدم والاخيرة تسير في طريق مظلم يهوي بصاحبه الى التهلكة.

4– الكذب

يقول محمد عليه الصلاة والسلام :

" ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة , وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا , وان الكذب يهدي الى الفجور , وان الفجور يهدى الى النار, وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا " رواه البخاري ومسلم .

الكذب افة المجتمعات ودمارها . والكاذب شخص غير مرغوب فيه بين الجماعة , وبالتالي يشعر بانه شخص منبوذ غير مقبول الامر الذي قد يؤدي الى نوع من الاضطرابات النفسية والتوترات العصبية التي قد تتسبب في اللجوء الى العنف والعدوان.

وعن ابي محمد الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الصدق طمانينة والكذب ريبة".

5- سوء الظن

يقول الله سبحانه وتعالى :

" يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم " . (الحجرات 12).

ان سوء الظن من الصفات التي قد تتسبب في مشاكل كبيرة ليس للانسان حاجة فيها, وخاصة في العائلة, وبين الافراد في الجماعات, كما ويساعد سوء الظن على انتشار الاشاعة كانتشار النار في الحطب. ومن المعروف ان الاشاعة قد تتسبب في تفكيك المجتمعات.

يقول محمد صلى الله عليه وسلم :

" اياكم والظن, فان الظن اكذب الحديث".

6- الغش

يقول محمد عليه الصلاة والسلام : " من غش فليس منا " .

الاسلام يطالب الفرد المسلم ان يبتعد عن هذه الصفة السلبية التي وان تمكنت من الفرد جعلته مكروه عند الناس ومذموم. والغش ليس فيه نفعا بل فيه ضررا وفسادا للمجتمع .

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع طعاما فاعجبه, فادخل يده فيه, فراى بللا, فقال: " ما هذا يا صاحب الطعام ؟ " قال : " اصابته السماء (اي المطر) " فقال عليه السلام : " فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غش فليس منا " رواه مسلما.

7- السلبية

يطالب الاسلام كل فرد مسلم بالابتعاد عن اتجاهات اللامبالاة وعدم المسؤولية والخمول والكسل , ويطالبه ايضا بان يكون ايجابيا وفعالا في تعامله مع نفسه ومع مجتمعه . ان الشخصية السوية هي تلك الفعالة المبادرة التى تعمل على تغيير الامور الى الافضل . ووفقا للخبراء في علم النفس فان السلبية سمة من سمات الشخصية المريضة .

يحث رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس على المبادرة وعدم السلبية:

" من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان".

8- الانانية

يحث الاسلام على التعاون وعدم التفرد في المنفعة, فالمسلم الحق عليه ان يعين اخاه وان يحب له ما يحب لنفسه. لقوله صلى الله عليه وسلم :

" احب لاخيك ما تحب لنفسك " .

9- الاتكالية

الاتكالية في الاسلام شيء غير مطلوب وغير مرغوب فيه , لقول محمد صلى الله عليه وسلم :

" لا يكن احدكم امعه فيقول : ان احسن الناس احسنت ".

وطالب بالاستقلالية في الراي , لانها تعطي الانسان حقه في الوجود .

10- الشك

على الفرد المسلم ان يتيقن قبل ان يقرر , لان الشك وعدم اليقين من الشيء, قد يؤدي الى الندم .

في هذا السياق يقول الله تعالى:

يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " (الحجرات 6).

ويقول محمد عليه الصلاة والسلام:" دع ما يريبك الى ما لا يريبك" والشخصية الشكاكة هي تلك الشخصية البارانوية كما يذكرها الطب النفسي .

بعد ان اوردنا الصفات التي يطلب الاسلام وجودها في الشخصية المسلمة وتلك التي ينهى عن وجودها , نستطيع ان نرى ونتاكد ان الشريعة الاسلامية حريصة كل الحرص على تكوين الشخصية السوية الصالحة المستقيمة لدى الفرد المسلم والتي فيها الخير والمنفعة للمجتمع المسلم .

ان الصفات الايجابية لو اجتمعت لدى الانسان لاستطاع ان يصل الى الشخصية السوية البعيدة كل البعد عن الاضطرابات النفسية , اذ عن طريقها يمكنه التوصل الى

المفهوم العالي للذات وتمكنه من اثبات وجوده وتحصيل مكانته في المجتمع الامر الذي يمكنه من التكييف والاستمرار .

اما تلك السلبية , فلو سيطرت على انسان واجتمعت فيه لادت الى هلاكه ووصوله الى الكثير من الصراعات النفسية وعدم التكييف والاحباط .

على كل انسان ان يعلم ان لديه دفتين من الميزان في الشخصية , الدفة الايجابية والدفة السلبية, ولكي يصل الى السلوك السوي والشخصية الصحية يجب ان ترجح لدية دفة الميزان الايجابية.

سيكولوجية السلوك السوي في الاسلام

لقد وضع الاسلام محكا رائعا للسلوك البشري السوي , الذي ان حاد عنه الانسان يصل الى السلوك الغير سوي . وقد كتب عن في هذا المضمار الدكتور علاء الدين كفافي استاذ الصحة النفسية في جامعة القاهرة في كتابه " الصحة النفسية – 1990 ", سنلخص فكرته هذه لانها تحتاج الى الاطلاع عليها وتطويرها كي يكون المحك الاسلامي كباقي المحكات للسلوك السوي .

نطرح السؤال, ماذا نعني بالسلوك السوي ؟

ان السلوك السوي , هو الصحة النفسية . كي تتوفر الصحة النفسية في الانسان يجب ان تتوفر فيه الامور التالية :

– العلاقة الصحيحة مع الذات , وتتمثل هذه العلاقة في فهم الذات وتقبلها وتطويرها.

وذلك بان يكون الانسان على علم بنقاط ضعفه وقوته وان يوازن بين ذاته والواقع, فلا يبالغ في تقدير ذاته وصفاته, ولا يقلل من شانها, ويجب ان يتقبل ذاته بايجابياتها

وسلبياتها والا يرفضها ويكرهها. وعليه ان يحاول تحسينها وتطويرها وذلك بتاكيد جوانب القوة فيها, ومحاولة التغلب على النقص والتخلص من العيوب.

– المرونة , وذلك حينما يواجه الفرد مشكلة ما فانه يريد حلها, او هدف ما يريد الوصول اليه, فان حقق هذا الشئ , انتهى الموقف وان لم يفعل فانه يجرب سلوكا اخر واخر حتى يصل الى ما يريد. واذا تكرر الفشل فقد يعيد الفرد حساباته, ويعيد النظر في الموضوع ككل او يتنازل عن الهدف من زاوية اخرى. هذا يعني المرونة, على العكس بما يسمى بالسلوك " الجامد ".

– الواقعية , هذا يعني ان الفرد يجب عليه ان يتعامل مع الحقائق والوقائع. وان يحدد امكانياته الفعلية كي لا يصل الى نقطة الفشل والاحباط.

– الشعور بالامن , اي ان يشعر الفرد بالامن والطمانينة. بعكس الخوف والقلق والصراع الزائد عن حده.

– التوجيه الصحيح , وذلك عندما يواجه الفرد مشكلة فانه يفكر فيها, ويحدد عناصرها, ويضع الحلول التي يتصورها. وهو في هذا يتوجه الى المشكلة كي يحلها, ويواجهها مواجهة صريحة, وان فشل يعلن فشله.وعلى العكس يحدث في السلوك الغير سوي.

– التناسب , وهذا يعني عدم المبالغة, وخاصة في المجال الانفعالي, اي تناسب الشعور مع المناسبات. والتعبير عنها بالقدر المناسب والافادة من الخبرة, وذلك بان يصحح من سلوكه دائما بناءا على الخبرات التي يمر بها.

هذه هي السمات التي يجب ان تكون في الفرد حتى يصل الى السلوك السوي والصحة النفسية السليمة.

سنذكر اهم المحكات التي ذكرها العلماء للتميز بين السلوك السوي والسلوك الغير سوي.

هذه المحكات تقسم الى نوعين :

الاول يقوم على التجريد باستخلاص صفة او سمة, يتسم بها السلوك السوي وتميزه عن السلوك الغير سوي . والنوع الثاني يقوم على الاساس العملي الاجرائي وذلك بتحديد اساليب سلوكية تشير الى السواء واخرى تشير الى اللاسواء .

ومن هذه المحكات نذكر :

- المحك الذاتي , ويعود هذا المحك الى اراء الفيلسوف اليوناني السوفسطائي " بروتاجوارس " اذ قال ان الانسان مقياس كل شيء. هذا المحك شائعا بين الافراد الغير متخصصين.

اذ يفهمه ويستخدمه الافراد العاديين في تمييز السلوك السوي من السلوك الغير سوي. ولذلك يعتبر هذا المحك ذاتيا لانه يعتمد على السلوك العام للفرد.

- المحك الاحصائي , وذلك يعتمد على النسبة السائدة بين الناس. فان كان سلوكا معينا ينتشر بين الناس بنسبة احصائية عالية فهو يعتبر سلوكا سويا. اي يعتمد على مدى شيوعه بين الناس.

- محك التوافق الشخصي , وذلك يعني مدى انسجام الفرد مع البيئة. فان تعامل الشخص مع مشكلاته بكفاءة قيل انه حسن التوافق, لانه استطاع ان يتلاءم مع مطالبه بنجاح. المطالب البيولوجية الداخلية ومطالب البيئة الاجتماعية الخارجية . فالتوافق بين هذه المطالب يعني السواء .

– محك تكامل الشخصية , وذلك يعني التوافق بين الفكر والمشاعر والعمل والتحرر من الصراعات الداخلية الشديدة وعدم استخدام الميكانيزمات الدفاعية الجامدة والانفتاح على الخبرات الجديدة وتقبلها.

– المحك الاجتماعي , ويعني مدى دعم او اعاقة حاجات المجتمع واهدافه.ويعتمد هذا المحك على ان الافراد لا يعملون فقط على ان يتوافقوا في البيئة التي يعيشون فيها بل عليهم ان يعملوا في سبيل بناء وتدعيم القيم والاهداف والانشطة الخاصة بالجماعة.

– محك نمو الفرد وصالح الجماعة , ويعود هذا المحك الى "جيمس كولمان" . اذ ان فكرة هذا المحك تقوم على ان السلوك السوي هو الذي يتفق مع نمو الفرد وصالح الجماعة في الوقت نفسه. والعكس هو السلوك الغير سوي .

بعد ان تعرفنا على ماهية السلوك السوي نسرد باختصار ما جاء في المحك الاسلامي للسلوك السوي :

ان المحك الاسلامي كما يورده لنا الدكتور عفافي (1990) يقوم على فكرة التوازن او الوسطية بين الاطراف او الاقطاب.

وذلك يعني الجمع بين ايجابيات الطرفين دون سلبياتها . فالتوازن هو الميزة الرئيسية في هذا المحك. لذلك اطلق عليه اسم " محك التوازن " وذلك لانه يحقق التوازن بين جوانب النفس الانسانية , ويقوم على التوفيق بين النزعات البشرية, كالخوف والامل والحب والكره, والواقع والخيال, والجوانب الحسية والجوانب المعنوية, والسيطرة والخضوع...

كما ويقوم المحك الاسلامي على الموازنة بين الفرد والمجتمع من ناحية والكون باسره من ناحية اخرى (علاء الدين كفافي 1990).

من اجل فهم ما يقصد هنا سوف ناتي بمثال بسيط على ذلك , العمل والموقف الاسلامي منه :

في الدين الاسلامي المال هو لله ولا ياتي الا عن طريق العمل الشريف ودون الاستغلال للاخرين. وفي العمل على المسلم ان يراعي الله في عمله . وليست هناك قيود يضعها المجتمع غير مراعاة الله في العمل , وعلى الفرد بعد ان يكسب المال ان يطهره بدفع الزكاة , من هنا نقول ان الاسلام لا يقف في طريق الكسب الشخصي بل يتيح له الفرصة للنمو بلا حدود , ولكن عليه التقيد بالعمل الشريف الذي يفيده ويفيد المجتمع . بذلك يوفر الاسلام انتاج عالي ويضمن حق المجتمع من ناحيتين , وذلك بوضع حدود للفرد يجب عليه ان يراعيها في عمله , وان عليه فريضة الزكاة كحق للمجتمع في مقابل انتفاعه من تعامله معه في جو امن تصان فيه امواله ويطمئن فيه على نفسه , وهناك ايضا الصدقات التي يتطوع بها الفرد بنفسه للمجتمع (مرسي 1990) .

والتاريخ يشهد على انه ايام طبق الاسلام كان بيت المال مليء بالاموال حتى ان المنادي ينادي على من له حاجة فلا يستجاب له وذلك لانه مجتمع راعى حق الله فاغناه . من هذا المثال يتبين لنا مدى التوازن الدقيق بين الفرد والمجتمع.اذ استطاع الاسلام ان يحقق حاجات الفرد وطموحاته ومصالحه , وضمن في نفس الوقت مصالح المجتمع وحاجاته ومقتضيات نموه . يمكن اعتبار السلوك السوي في الاسلام هو سلوك وسط بين الجماعية والفردية . اذ انه يلغي الحواجز بين الفرد والمجتمع فلا ينظر الفرد الا على انه فرد في جماعة ولا تنظر الجماعة الا وانها مكونة من افراد. كما وان القصاص

واحكامه في الاسلام تامين لحياة الجماعة وحماية الفرد. والشعائر الاسلامية قد تؤدى فردية او جماعية . ولكنه فضل الجماعة على الفرد كما ان فريضة الحج جماعة وصلاة الجمعة جماعة. ان الدين الاسلامي ينهى عن الامعية والتي يرادفها في علم السيكولوجية مصطلح " المسايرة الالية " , اذ ان المسلم مطالب بمقاومة الجماعة عندما تخطئ او تنحرف , وعليه ان لا يخاف الا الله (علاء الدين كفافي 1990).

يقول تعالى:

" وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه " (سورة الاحزاب –37).

والسلوك السوي في الاسلام هو توازن بين الروحية والمادية , فيدعو الى التمتع بالطيبات على ان يكون ذلك في حدود ما احل الله , وان لا يلهينا ذلك عن ذكره وحقه علينا .

يقول تعالى:

" وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين " (القصص , 77) .

ويقول محمد صلى الله عليه وسلم:

" ان الله يحب, ان يرى اثر نعمته على عبده ".

والسلوك السوي في الاسلام , هو وسط بين العبادة والعمل , اذ يقول تعالى:

" فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " (الجمعة , 10) .

والاسلام يامر الفرد بالعمل, والعمل الصالح دائما كما ويقترن العمل الصالح بالايمان لقول الله عز وجل:

" ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة واتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " . (البقرة ,277).

كما ان الجمع بين التطوع والالتزام يعتبر في الاسلام سلوكا سويا . كالاركان الخمسة والتي تمثل التزام المسلم, اذ يلزم الاسلام المسلمين باداء الاركان الخمسة, ولا يصح اسلامه بدونها. كالصلاة والصيام والزكاة والحج والشهادتين, والمسلم ملتزم بهذا (علاء الدين كفافي 1990).

بالاضافة الى هذه الاعمال الالزامية هناك الاعمال التطوعية كالنوافل والسنن والبر والخير ويثاب عليها المسلم .

ويتحدد السلوك السوي في الاسلام بالوازع الداخلي والوازع الخارجي, اذ يهتم الدين بالتربية وتهذيب الضمير عند المسلم وهو ما يعتبر الوازع الداخلي, ولان الله تعالى علم ان الانسان قد تغلبه دوافعه اقام الوازع الخارجي رقيبا عليه ورادعا له وليحميه من نفسه. وان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقران .

ان الجمع بين التواضع والعزة هو سلوك سوي في الاسلام , فالمسلم مطالب بان يكون متواضع لقوله تعالى:

" وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " (الفرقان, 63).

كما ويدعوهم الى ان يكونوا اهل عزة : اذ يقول محمد صلى الله عليه وسلم يوم قتال المشركين: " رحم الله امرا اراهم اليوم نفسه قوة "

ويقول تعالى:

" محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما ". (سورة الفتح , 29).

كما وان التوازن بين الحرية والمسؤولية في الاسلام يعتبر السلوك السوي . اذ ان الانسان المسلم حر, وليس لاحد من البشر عليه سلطان. وهو النظام الوحيد الذي لا يسلم فيه الانسان قياده لانسان مثله. وقد بني دخول الفرد في الاسلام على الحرية, لقوله تعالى :

" لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم " (البقرة, 256).

والفرد المسلم مسئول امام ضميره وامام الناس وامام اولي الامر على الا يضر احد وعلى الا يسرق ولا يقتل ولا يشرب الخمر ولا يزني ...

وقد قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته".

والتوازن بين الثبات والتغير هو ميزة من ميزات السلوك السوي في الاسلام . فهناك اشياء في الاسلام ثابتة لا تتغير ولا تستقيم حياة المسلم بدونها, كاداة الشعائر والعبادات والفرائض والقيم الخلقية كالصدق والوفاء والامانة والتي حث عليها الاسلام (علاء الدين كفافي 1990).

وبالمقابل هناك امور تعتبر من المتغيرات والتي تتعلق بامور الناس في معاشهم واحوالهم المتبدلة والمتغيرة.

ويقول محمد صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف:

" انتم اعلم بشؤون دنياكم ".

والسلوك السوي في الاسلام توازن بين الايجابية والسلبية , فالاسلام طالب المسلم بان يكون ايجابيا فعالا في تعامله مع نفسه ومجتمعه وامر بالتواد والتراحم وعيادة المريض ونهى عن خصام اخيه المسلم لاكثر من ثلاثة ايام . ويطلب منه ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر , وان يشهد بالحق.

لقول الله تعالى:

" ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون" (ال عمران , 104) .

اما بالنسبة للسلبية فالمقصود هنا ليس اتجاهات اللامبالاة او عدم المسئولية او الخمول والكسل وانما يقصد بالخضوع لله عز وجل. وهي تقابل في الطبيعة الانسانية تلك الميول الماسوشية وهي ميول الخضوع واستخلاص اللذة من تحمل الالم والمشقة (علاء الدين كفافي 1990).

والدين الاسلامي ينهى المسلم ان يعبر عن نزعاته الماسوشية لانسان مثله ويامره بان يوجهها الى خالقه , والذي احياه ويميته.

السلوك السوي في الاسلام يجمع بين المثالية والواقعية. ويقول دكتور كفافي " ان الانسان في الاسلام مخلوق بشري وليس ملاك او شيطان وان كان يستطيع ان يرتفع بنفسه الى مستوى الملائكة وكما انه يستطيع ان يهبط الى مستويات اقرب الى مستويات الشياطين". (مرسي 1990) .

والانسان مخلوق من طين . فهناك اذن جانب مادي ويتجسد في الدوافع البيولوجية . وميل الانسان الى اشباع هذه الدوافع يمثل واقعا. ولكن الانسان به شيء من الروح اي ان له جانبا روحيا ويتمثل في الوظائف العقلية والنفسية. ودوافع تحقيق الذات والتزام الانسان بالمبادئ الخلقية العليا في سلوكه يعتبر امر مثاليا (علاء الدين كفافي 1990).

ويقول محمد صلى الله عليه وسلم: " اما والله اني لاخشاكم لله, واتقاكم له, ولكني اصوم وافطر, واصلي وارقد, واتزوج النساء, فمن رغب عن سنتي فليس مني ".

كما وان هناك قواعد في الدين الاسلامي تحكم السلوك, مبنية على القران والسنة النبوية (علاء الدين كفافي 1990), نذكرها :

" وان ليس للانسان الا ما سعى , وان سعيه سوف يرى , ثم يجزاه الجزاء الاوفى " (النجم, 39–41).

" و لا تزر وازرة وزر اخرى " (فاطر, 18) , " وكل انسان الزمناه طائره في عنقه " (الاسراء, 13).

من راى منكم منكرا فليغيره بيده, فان لم يستطع فبلسانه, فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان".

" لا يكلف الله نفسا الا وسعها " (البقرة 286) .

" لا ضرر ولا ضرار " .

" الدين يسر لا عسر " , " ان الله يحب ان تؤتى رخصه, كما يحب ان تؤتى عزائمه, ومن لم ياخذ برخصنا فليس منا ".

" الاصل في الاشياء الاباحة, والاصل في الذمة البراءة ",

" البينة على من ادعى واليمين على من انكر " .

" الحرج مرفوع " . فالدين الاسلامي لا يشق على الناس.

" الضرورات تبيح المحظورات " .

" انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى " .

" يرتكب اخف الضررين ".

" درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة ".

هذا هو المحك الاسلامي للسلوك السوي عند البشر, والذي شرحه الدكتور عفافي في كتابه الصحة النفسية متمنيا من الله ان يتوسع علمنا في هذا الموضوع.

سيكولوجية الارشاد النفسي وفقاً لنموذج الارشاد الاسلامي

التصور الاسلامي لسلوك الانسان :

ينظر الدين الاسلامي الى الانسان من عدة زوايا تتمثل فيما يلي :

اولاً: ان مبدأ الاخذ والعطاء مبدأ هام تقوم عليه الانسانية , وذلك من اجل تحقيق الامن الاجتماعي , واقامة علاقات اجتماعية سليمة , وتوفير حياة كريمة لافراد المجتمع. ومن هذه المظاهر في المجتمع الاسلامي علاقة الطفل بوالديه وعلاقة الاغنياء بالفقراء والمحرومين (ابو عطية 1989).

ان الهدف من العطاء هو تغيير السلوك عن طريق المساعدة الفعلية او النصح والارشاد , او الدعاء للاخرين بالهداية .

ثانياً: ان السلوك الانساني وفقا لهذا النموذج محكوم بغريزتين هما الخير والشر وذلك كما خلقه الله عز وجل لقوله تعالى : **(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) "سورة الشمس 827"** (ابو عطية 1989).

اساليب لتربية النفس على نزعة الخير

تعليم القرآن والاحاديث.

القيام بالعبادات والشعائر الدينية .

الاقتداء بسلوكالصالحين.

استخدام الاساليب التربوية السليمة في تنشئة الطفل .

ثاالثاً : التوازن بين الروح والجسد .وذلك يعني التوازن بين الوظائف العقاية والنفسية وبين اشباع الحاجات الاساسية كالجوع والجنس والدفاع عن النفس من اجل البقاء. (زهران,1986).

رابعاً: التواصل في العمل للحياة الدنيا والآخرة . اي ان العلاقة وطيدة بين العمل في الحياة الدنيا وبين العمل للآخرة .

اسلوب الارشاد الاسلامي :

الاعتراف بالذنب وظلم النفس و الآخرين .

التوبة وطلب المغفرة وعدم الرجوع للخطيئة.

الاستبصار وذلك يجعل الفرد واعياً اسباب شقائه النفسي.

التعلم اي اكتساب مهارات وقيم واتجاهات جديدة من اجل ضبط الذات وتقبلها وتقبل الآحرين وتحمل المسؤولية . الدعاء وانتظار الرحمةمن الله , الامر الذي يؤدي الى التفاؤل والامل والصبر . (زهران 1986)

المراجع

القرآن الكريم

النووي ، أبو زكريّا يحيّى بن شرف (1994) : رياض الصالحين . دار الفكر .

عساف ، أحمد محمّد (1986) : الحلال والحرام في الإسلام .

أسعد ميخائيل إبراهيم (1977) : علم الاضطرابات السلوكيّة .

بياجية ، جان (1996) : الكلام والتفكير عند الطفل . مترجم بالروسيّة .

الوقفي ، راضي (1989) : مقدّمة في علم النفس . عمان .

فهمي ، سمير أحمد (1971) .: علم النفس وثقافة الطفل .

سابق ، سيّد (1997) : فقه السُنّة .

عريفج ، سامي (1984) : علم النفس التطوّريّ .

علوان ، عبد الله ناصح (1995) . تربية الأولاد في الإسلام . جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

عبد الرحمن عدس ، محي الدين توق (1997) : المدخل إلى علم النفس . عمّان: دار الفكر .

كفافي ، علاء الدين (1991) : الصحّة النفسيّة .

قشطه ، علا عبد الباقي إبراهيم (1991) : دراسة مدى فاعليّة برنامج للتدريب على بعض المهارات المنزليّة في تنمية مفهوم الذات لدى المتخلّفين عقليًّا . رسالة ماجستير في التربية، كليّة التربية جامعة عين شمس.

الرفاعي ، نعيم (1991) : الصحّة النفسيّة . دراسة في سيكولوجيّة التكييف، الطبعة السادسة. الصحة النفسيّة ، نشرة فصليّة تعنى بأنشطة الجمعيّة النفسيّة اليمنيّة .

اتجاهات علم النفس الروسي

التحول من علم النفس الانعكاسي الى علم النفس الثقافي – الاجتماعي

تلخيص:

لقد اقتصرت معارف الغرب في ميدان علم النفس الروسي على بعض الاسماء لعلماء روس مع بعض الإشارات الخاطفة إلى بعض أعمالهم. وقد أدى هذا الوضع بالكثيرين إلى أن يقرنوا علم النفس هناك ببعض دراسات سيتشينوف وبافلوف وبيختيرف وتطبيقاتها في ميدان التربية والتعليم، وبالتالي إلى إنكار أي وجود لهذا العلم هناك. ولقد عزا الباحثون الغربيون سبب غياب علم النفس في الاتحاد السوفيتي إلى تدخل السلطة هناك والحظر الذي فرضته على الباحثين والعلماء لوقف نشاطهم ومنعهم من الاستمرار في الدراسات النفسية، وهم، بذلك، يشيرون إلى القرار الذي اتخذته القيادة السوفيتية بشأن وقف العمل ببعض طرق البحث السيكولوجي، مدعين بأن هذا الإجراء إنما يشمل ميادين علم النفس كافة، ويضع حداً للقيام بأي نشاط في أيٍّ منها. ولهذا، وحسب زعمهم، فإنه لا مجال للحديث عن دراسات نفسية على نحو ما هو قائم في دول الغرب. ونجد انه على العكس من ذلك فقد بحث العلماء والمفكرين الروس الجوانب النفسية منذ القياصرة الى الاتحاد السوفييتي وحتى يومنا هذا, كما واستطاعوا المساهمة في تحديد معالم علم النفس العالمي بصورة كبيرة. ونجد العديد من الاتجاهات والمدارس التي فسرت السلوك الانساني, كما وأنشأت المراكز البحثية في ميدان العلوم السلوكية كمعهد علم النفس في موسكو واقسام علم النفس في جامعات موسكو وسانت بطرس بورغ وكازان واديسا

وخاركوف. وسنعرض آراء ومواقف أبرز المفكرين الروس في ما يمس الجانب السيكولوجي وما قدموه لنمو وتقدم علم النفس العالمي.

تمهيد :

لقد كتب عالم النفس والمفكر الروسي ياروشييفسكي في عام 1966 كتاباً قيماً في تاريخ علم النفس والذي قدم فيه نظرة شاملة حول نمو وتطور الافكار النفسية منذ القدم عندما ظهرت الحكمة الصينية والهندية واليونانية حتى بنى علم النفس لنفسه القواعد كعلم مستقل بحد ذاته. وكذلك تحدث ياروشييفسكي عن مرور علم النفس بالفلسفة والفكر الذي ظهر في الحضارة الاسلامية والحضارة الاوروبية , وذكر في كتابه مدارس علم النفس ونظرياته التي نمت وتطورت حتى منتصف الستينات من القرن العشرين (عامود, 2001).

لقد نشأ علم النفس الروسي في مختبرات الطب والفيزيولوجيا كما واعتمد نموه وتطوره على العلوم الاجتماعية والفلسفة والانتروبولوجيا والمنطق.

يقول أوشينسكي ان علم النفس يحتل مرتبة رفيعة وعالية بين العلوم الاخرى وله قيمة كبيرة في التربية الخاصة, كما ويرى ان معرفة خصائص الانسان النفسية تساعد على عملية تربيته, ونادى دائماً بدراسة الظواهر النفسية ونموها بهدف توجيهها كما وان فهمها يساعد على عملية التعامل معها (Ушинский К.Д. 1988).

يشير كيدروف في كتاباته الى ان علم النفس يكّون مثلثاً هاماً مع العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والفلسفة (كيدروف,1965). كما ويقول سيتشينوف الى ان ما نجده في علم النفس لا نجده في العلوم الاخرى (Céченов И. М.,1902).

أن الحقائق التاريخية تبرهن بصورة قاطعة على وجود حركة علمية سيكولوجية نشطة ومتنامية في روسيا القيصرية، وأنه من غير الممكن أن ينظر إلى نشاط علماء النفس الروس بمعزل عن نشاط زملائهم في بلدان أخرى، وأن علم النفس الروسي هو، بالتالي، جزء لا يتجزأ من علم النفس العالمي. ولقد كان وراء تلك الحركة عدد كبير من الأسماء. فإلى جانب سيتشينوف وبافلوف وبختيرف وفاغنر نجد اينكو، تشيج، جيلبانوف، رادلوف، روسوليمو، زينكوفسكي، فيدينسكي، غروت، كويسمان، كورساكوف، لوباتين، لوسكي، ليسغافت وغيرهم. ولعلَّ أهم ما ميّز الحركة السيكولوجية في روسيا خلال عقود ما قبل الثورة الاشتراكية هو تعدّد الاتجاهات التي كانت تشتمل عليها وتعارض أفكار ممثليها.

إنَّ عدد العاملين في علم النفس في روسيا بعد الثورة الاشتراكية كان يتزايد باضطراد. فإلى جانب العلماء الذين ينتمون إلى الجيل القديم أمثال ايفانوفسكي وجيلبانوف وروبنشتين وروسوليمو وفاغنر ونيجايف ولانج التحق بمؤسسات علم النفس عدد كبير من الشباب المتحمس أمثال بلونسكي, دوبرينين, روديك ,كارنيلوف, ليفيتوف, رينيكوف, سميرنوف, شيفاريف, فورتوناتوف وفيرسنز في موسكو، إفروسي, باسوف, بولتونوف ومياسيشيف في سانت بطرس بورغ, اوزنادزي في تبيليسي (عاصمة جورجيا) وفيجوتسكي في خاركوف وموسكو. وقد كرس هؤلاء جهودهم لإقامة علم النفس الروسي وتحديد مصيره.

علم النفس في روسيا قبل الثورة الاشتراكية :

لم تمنع السلطات السوفييتية البحث في كافة ميادين علم النفس وذلك كما يعتقد الكثير بل نجد ان عدداً كبيراً من علماء النفس الروس اشتغلوا في زمن السوفييت في المجالات النفسية والعقلية كما وتزايدت المراكز المختصة بدراسة العلوم النفسية وازداد عدد العاملين فيها. رغم هذا نجد ان علماء النفس الغربيين لم يعيروا اي انتباه ملحوظ لما كان يقوم به علماء النفس السوفييت والروس. بل انهم كانوا ينفون وجود ما هو مثير للمتابعة في ميدان علم النفس الروسي (عامود, 2001). ونجد الدليل الواضح على هذا في تعبير عالم النفس جان بياجية عن الاسف لعدم تمكنه من قراءة النقد الذي وجه الى نظرياته من قبل عالم النفس الروسي فيجوتسكي الا بعد عقود.

ان علم النفس في روسيا قبل 1917 كان جزءاً من علم النفس الغربي, وقد ظهر عدد من العلماء والمفكرين الروس الذين اشتغلوا في ميادين علم النفس, نذكر منهم:

لومونوسوف (1711–1765)

ظهر المفكر الروسي لومونوسوف في روسيا القيصرية وكان لعائلة فقيرة في منطقة ارخانغلسك الواقعه في اقصى الشمال الروسي. وقد تخرج لومونوسوف من المعهد العالي للغات في موسكو ثم اتجه الى سانت بطرس بورغ ليتابع تحصيله الاكاديمي. اهتم لومونوسوف بالفيزياء والكيمياء والتعدين الى جانب العلوم الاجتماعية والنفسية واللغة والادب(عامود,2001). ويعد له الفضل في انشاء وتأسيس جامعة موسكو والتي سميت فيما بعد على اسمه.

قام لومونوسوف بدراسات عديدة في مجال علم النفس, اذ نسب نشوء الادراك الحسي عند الانسان الى وجود سائل حيوي موجود في الاعصاب وهو دائم الحركة , لا يعرف التوقف او السكون(عامود,2001). واعتقد ان هذه الحركة تعمل على ابلاغ الدماغ بما يجري في النهايات العصبية من تغييرات بسبب البيئة الخارجية. كما ويعتقد لومونوسوف ان المعرفة تبدأ بالتجربة , فالتجربة هي المصدر الاساسي لكل ما يمتلكه الانسان من معلومات عن البيئة الخارجية. وهو يؤمن بأن التجربة تفيد الانسان بصورة اكبر من الافكار المجردة (Ломоносов М.В, 1991) .

يرى لومونوسوف ان للغة دور كبير في النشاطات النفسية والعمليات المعرفية والعقلية. ان الانسان بفضل اللغة يرتقي بعقله وفكره, والعلاقة بين اللغة والتفكير علاقة متبادلة لا يمكن عزل واحدة عن الاخرى. كما وحاول لومونوسوف البحث في الانفعالات والعواطف, وهو يربط بينها وبين الفيزيولوجيا.

لقد اسهم لومونوسوف في نشوء الجدلية في علم النفس وهو بهذا يفتح الباب على مصرعية امام الكثير من العلماء والباحثين للادلاء بآرائهم وافكارهم حول تفسير المظاهر السلوكية. وهو بهذا يعتبر قاعدة من قواعد الفكر السيكولوجي في روسيا.

الكساندر نيكولايفتش راديشييف (1749–1802)

ولد راديشييف في موسكو وتعلم في مدارسها, وقد اطلع على اعمال ودراسات المفكرين الفرنسيين في لايبزغ خلال دراسته هناك. بعد عودته الى روسيا شغل بعض المناصب

الحكومية ثم نشر العديد من الكتابات التي تظهر جبروت وظلم القيصر, فعانى من ظلم السلطة فترة من الزمن ثم انتحر عام 1802.

اسس راديشييف تصوراته وافكاره عن الوعي الانساني على اساس مادي (عامود,2001). حيث اشار الى ان الدماغ هو عضو الفكر والنشاط المعرفي, ولا يمكن ان نحدد موضع الوظائف النفسية فيه. وذلك اعتماداً على العلوم التشريحية في تلك الفتره.

ربط راديشييف نمو وتطور النشاطات النفسية عند الانسان بالمثيرات التي يستقبلها الجهاز الحسي من البيئة المحيطه ويرسلها الى الدماغ. وهو يحدد البيئة المحيطة بالمناخ والخصائص المكانية , ظروف الحياة , الاشياء والناس (عامود,2001). هذه العناصر تؤثر على النفس البشرية وتحدد تكوينه النفسي. وللانسان دور فعال وقدرة على الابتكار والابداع. ويقول :" ان الاشياء الخارجية تؤثر فينا دوماً بالقياس مع علاقتها بنا" (Радищев А. Н., 1952).

تأثر راديشييف بافكار لوك وتعاليمه فكان دائماً يشير الى ذلك في اقواله. فكان يقول: "ان التجارب هي الاساس الحقيقي لمعرفتنا الطبيعية" (Радищев А. Н., 1952). ان الافكار المجردة هي ثمرة النشاط العقلي الذي يجري في داخلنا. وقد وجد راديشييف مستويين من المعرفة :

الاول : المعرفة الحسية , والثاني : المعرفة الاستدلالية, وهذيين المستويين مترابطين. كما ووجد فارق شاسع بين القدرات الحسية (البصر,السمع,اللمس) التي يمتلكها الانسان

وما يقابلها لدى الحيوان. وذهب الى ان تطور الادراك لدى الانسان يعود الى النشاطات المختلفة التي يمارسها كالنشاط الفني (الرسم, الموسيقى,النحت ..) (عامود,2001).

اما اللغة عند راديشييف فانها من اهم العوامل التي تساهم في ارتقاء الجنس البشري وهي الاداة التي لا يمتلكها سوى الانسان, هذه الاداة تمد الفكر باسباب التطور, ويرى راديشييف الانسان كائن اجتماعي وهو مخلوق لكي يعيش في المجتمع, وللمجتمع مسؤولية كبيرة في تطوره في النواحي المختلفه الجسمية, العقلية, الانفعالية , العاطفية والارادية (عامود,2001).

ان الانسان كما يقول راديشييف يتميز عن الحيوان بما يصدر عنه من افعال وتصرفات تعكس مشاعره التعاطفية ونزعته الى التعاون مع الآخرين. كما واهتم راديشييف بموضوع المواهب والاستعدادات ويشير الى تفاوت الناس الفطري في الطبع والبييئة العصبية والاستثارة. وللمجتمع دوره الهام في تنمية وتطور المواهب والقدرات. لقد كان لآراء راديشييف وافكاره صدى شاسع في ارجاء روسيا وهو بافكاره يرمز الى اهمية البيئة الخارجية والمجتمع في تحديد السلوك الانساني , هذه الافكار كانت الاساس لكثير من علماء النفس الروس في بناء تصوراتهم حول بناء وتحديد علم النفس.

الكسندر ايفانوفيتش غيرتسن (1812–1870)

ولد غيرتسن في موسكو لعائلة ثرية. تعلم في جامعة موسكو. وقد اعتقل من قبل السلطات بتهمة محاولة الانقلاب عليها ونفي الى مدينة فياتكا وهناك كتب العديد من مؤلفاته منها : " التسطيح في العلم", "رسائل في دراسة الطبيعة", " دكتور كروبوف" وغيرها .

آمن غيرتسن بوحدة الوجود وماديته وآمن بوحدة مصير المجتمعات البشرية. وقد نظر الى علاقة النفس بالجسد باعتبارها وحدة متكاملة (عامود,2001). وهو ينفي ان يكون الوعي مستقل عن الجسد. ورأى ان عضو الوعي هو الدماغ وأداته . واشار غيرتسن الى ان الفيزيولوجيا هي التي تبحث مبنى الدماغ وتركيبه وان علم النفس يهتم بالظواهر النفسية من حيث ارتباطها بالجهاز العصبي . وآمن بالتعاون بين هذين المجالين. ويعتقد غيرتسن ان المادة والتاريخ تنتج الفكر والنفس (Герцен А.И. , 1990).

اسس غيرتسن نظريته في المعرفة على قاعدة الصلة والعلاقة المتبادلة بين مستوياتها الحسية والعقلية. ويعتقد انه لا يمكن ان نفصل بين المعرفة والحس او العكس. فالانسان عندما يحس بشيء ما فانه يدرك ما يحسه ويعيه وذلك بفضل الفكر (عامود,2001). يقول غيرتسن: "التجربة والتبصر هما مستويان لازمان وواقعيان للمعرفة " (Герцен А.И. , 1954).

ويرى كذلك الوحدة بين الحس والعقل والتي تظهر في الوحدة بين الفكر والكلمة, فالانسان عندما يعبر عن الفكرة بواسطة الكلمة المنطوقة او المكتوبة فانه يضع امامه صورة واضحة لافكاره. ويعتقد ان الفرد يستطيع ان يجد لكل فكرة ما يناسبها من الكلمات , ولا يوجد فكرة لا يمكن قولها بوضوح وهذا يتعلق بوضوح الفكرة اولاً . ويقول غيرتسن: " لا توجد علوم صعبة وانما توجد كتابات صعبة" (Герцен А.И. , 1954).

ويجد غيرتسن ان للظروف الحياتية والبيئية المحيطة دوراً هاماً في تطور الفرد. ويرى ان الفرد طرفاً فعالاً في هذه المعادلة. ان الفرد يستطيع ان يتحكم في مصيره ان كان واعياً ,

فبقدر ما يكون وعيه عالياً يكون وجوده الذاتي كبيراً , وقدرته على توجيه مصيره كبيره (عامود, 2001).

استطاع غيرتسن ان يغرس فكرة الربط بين السيكولوجية والفيزيولوجيا الامر الذي وجه عدد من الباحثين تجاه هذه الفكرة ومحاولة دراستها .

فيساريون غريغوريفتش بيلينسكي (1811–1848)

بيلينسكي, ولد لاسرة متواضعة, تعلم في مدينة جيمبار ثم في مدينة بنزا واكمل دراسته في جامعة موسكو. آمن بيلينسكي بأن انتشار العلم والتعليم هو غاية يجب الوصول اليها ولا يمكن ادراكها ان عاش الانسان تحت ظروف الطغيان والتسلط.

ويرى بيلينسكي ان الوعي هو نتاج عمل الدماغ , وراى رابطاً بين الفيزيولوجيا وعلم النفس. وقد اهتم بيلينسكي بمجال الشخصية وتطورها, وهو يحددها بانها هي كل ما يقدمه الواقع الموضوعي للعمليات النفسية كالعقل والارادة والمشاعر وما يتركه عليها من بصمات. وكما ان ظروف الناس مختلفة فان ما يقدمه الواقع لكل منهم مختلف وما يتركه من آثار وبصمات مختلف, بالتالي فان الشخصيات تختلف في مبناها وتكوينها (عامود,2001).

ان الشخصية القوية والفعالة, بالنسبة لبيلينسكي, هي التي تحدد لها اتجاه واضح يوجهها ويميزها عن غيرها. ولا بد للشخصية ان تسعى الى موضوع معين كي تكون شخصية حية وذات مغزى. وعليها ان تتجه الى هدف ما وتسعى الى تحقيقه.

يقول بيلينسكي: " كل انسان عظيم انما ينجز عمل زمانه, ويحل مسائل عصره, وهو يجسد بنشاطه روح الزمان الذي ولد وترعرع فيه "(Белинский В.Г., 1953).

ويرى بيلينسكي ان ما يميز الانسان عن الحيوان هو النشاط الاجتماعي والنفسي وكذلك الانفعالات والعواطف. ويرى ان الحياة العقلية لا تكتمل الا بالعواطف والانفعالات ومن الصعب تصور الوعي بمعزل عن المشاعر (عامود, 2001). وقد تحدث ايضاً عن انواع المشاعر ومستوياتها المختلفة وما يحمله كل نوع من قيمة للانسان. ويعتقد ان المشاعر العميقة هي وحدها التي تشحن العقل بالطاقة الضرورية للنمو والتطور.

تشيرنيشفسكي والحاجات الانسانية (1828–1889)

درس تشيرنيشفسكي الادب والتاريخ في جامعات سانت بطرس بورغ, وقد عمل بعد تخرجه بالصحافة والتعليم. لقد بحث تشيرنيشفسكي موضوع الظواهر الانسانية واستطاع ان يقسمها الى قسمين :

الاول: "الظواهر الفيزيائية" كالاكل والشرب والمشي .

الثاني : "الظواهر المعنوية" , كالاحساس والرغبة والفكر .

ويشير تشيرنيشفسكي الى اثر التاريخ والبيئة الخارجية على الفكر وحياة الانسان. كما وربط بين الوعي والجهاز العصبي, وهو يقول ان الدماغ هو اداة الفكر والوعي والمعرفة, ولا يمكن لمخلوق آخر غير الانسان بلوغ ما بلغه من معرفة ووعي. كما واهتم تشيرنيشفسكي بالعلاقة بين البيئة والوراثة وفي تأثيرها على الوعي الانساني. وهو يؤمن كثيراً بتأثير البيئة على الانسان وعلى فكره وعقله (عامود, 2001). لا يؤمن

تشيرنيشفسكي بالتفاوت الفطري في القدرات العقلية بين البشر. لذا فلا يمكن الحكم على جماعة بانها اقل ذكاء من جماعة اخرى, او على شعب بانه اعلى او ادنى من شعب آخر بمجرد انتمائه لعرق ما (عامود,2001).

وقد درس تشيرنيشفسكي موضوع الحاجات البشرية ومدى تأثيرها على العقل والفكر, فذهب الى تقسيم الحاجات الى نوعين :الحاجات الاولية والضرورية , كالحاجة للتنفس والطعام والشراب. والحاجات العليا , كالحاجة الى الحقيقة . والحاجات العليا تقوم على اشباع القدرات فمن خلال الرغبة في تحقيق الحاجات العليا فان القدرات ترقى وتنمو.

ويرى تشيرنيشفسكي ان النشاط العقلي يضعف ويتلاشى اذا كانت الظروف سيئة ولا تساعد على التحصيل المعرفي. لذلك فان غياب الرغبة الذي نلاحظه عند بعض الاطفال لا يرجع الى ضعف الحاجة الى المعرفة والاطلاع عندهم بقدر ما يرجع الى الاخطاء التربوية التي يرتكبها الكبار(عامود,2001).ان افكار وآراء تشيرنيشفسكي هي اساساً للتربية السليمة التي قد تساهم في بناء مؤسسات تربوية سليمة.

دوبرلوبوف وعملية التعليم (1836–1861)

هو نيقولاي الكسندر دوبرلوبوف ولد في مدينة نوفغورد. عمل في المجال التربوي والصحافة. كان صديق حميم لتشيرنيشفسكي. يؤمن دوبرلوبوف في المقام الاول بانه يجب تطوير شخصية الطفل من جميع النواحي واعداده للحياة. ويرى ان التعليم ليس معناه فقط مجرد نقل المعلومات الى اذهان التلاميذ وانما هو عمل يسعى الى الارتقاء بذكاء

الانسان وقدراته العقلية. وهو يقول بهذا الصدد : " يجب تعليم الاطفال التفكير بصورة مستقلة, وارشادهم الى محبة المعارف والتعبير عن المواد بمفاهيم واضحة وكاملة" (Добролюбов Н.А., 1961). ويرى دوبرلوبوف ان نشاط اعضاء الحس يحسن من النشاط العقلي فالتجربة الحسية الغنية تساعد على نمو القدرة العقلية, وضعفها يؤدي الى انخفاض النشاط العقلي (Добролюбов Н.А., 1961). لقد وجدت افكار دوبرلوبوف صدى في مجال التربية والتعليم في روسيا.

سيتشينوف والدراسات الفيزيولوجية واثرها في علم النفس الروسي (1829–1905)

لقد اهتم العديد من العلماء الروس بمجال العلوم الطبيعية وخاصة الفيزيولوجيا, ومن هؤلاء : موخين (1766–1850), ديادكوفسكي(1784–1841), فيلومافيتسكي (1807–1849), سيتشينوف (1829–1905) وغيرهم . كان لهذه الدراسات الاثر الكبير على نمو علم النفس والعلوم الانسانية, فنجد ان موخين يرى الحياة النفسية عبارة عن نشاط يقوم به الجهاز العصبي, والنشاط النفسي يتفاوت من كائن لآخر وذلك بتفاوت بنية الجهاز العصبي وخاصة الدماغ. وكلما كان مبنى الدماغ ارقى كلما كان المستوى النفسي اعلى, ويشير موخين الى دور البيئة ايضاً في ذلك (عامود,2001). يتفق كل من ديادكوفسكي وفيلومافيتسكي, اللذان يران ان الدماغ هو جهاز مركب ومنظم وفعال وان الفرد يحقق بفضله توازنه مع البيئة الخارجية, مع موخين حول طبيعة النفس وعلاقتها بالجهاز العصبي المركزي, وفي دور البيئة الخارجية واثرها فيها. سيتشينوف (1829–1905), وهو الذي درس العلوم الطبية وعلم النفس في موسكو وبعد تخرجه اتجه الى المانيا ليدرس الفيزيولوجيا, وقد كتب اثناء دراسته عدة مقالات حول فيزيولوجيا الجهاز العصبي. لقد

اعتمد سيتشينوف كثيراً على المنهج التجريبي للتحقق من صحة فرضياته والاجابة على التساؤلات المطروحة وقد لقب سيتشينوف بابي الفيزيولوجيا الروسية . لقد اجرى سيتشينوف الكثير من الابحاث على الدماغ بهدف معرفة آليات عمله في مختلف الحالات والمواقف وخاصة الاستجابة الارادية واللاارادية , ويشير سيتشينوف الى ان كافة الحركات والافعال التي يتألف منها السلوك تنشأ بفضل النشاط الدماغي. وهذا ما اطلق عليه اسم الانعكاس (عامود,2001).

لقد درس سيتشينوف النشاط النفسي بمستوياته المختلفة عبر ارتباطه بالبيئة الخارجية وعلاقته بالعمليات العصبية التي تحدث في الدماغ وصلته بالحركات الاستجابية التي تصدر عن الكائن الحي كرد فعل (عامود,2001).

ويقول سيتشينوف: " ان جميع الوقائع النفسية دون استثناء تتطور عن طريق الانعكاس" (Се́ченов И. М. ,1953).

ويقول ايضاً ان الحواس هي جذر التفكير والشكل الاولي للنشاط النفسي. ان الحركة (الفعل) والاحساس (الاشارة او الشكل) يؤلفان حلقة من الفعل الانعكاسي وكل منهما يكمل الآخر . ويشير الى ان عناصر الفكر تكمن في النشاط الحركي , ووجد ان غنى المحيط الخارجي يساعد حتماً على الارتقاء بمستوى وعي الانسان الذي يحيا فيه(Се́ченов И. М. ,1953).

يعتقد سيتشينوف ان التفكير والتذكر والكلام وسائر العمليات العقلية التي نجدها عند الراشد انما هي انعكاسات معقدة تكونت تدريجياً نتيجة العلاقة المتبادلة بين الانسان والبيئة الخارجية (Се́ченов И. М. ,1953). ويرى ان الاحساس هو اصل

النشاط العقلي عند الاطفال, لذا فلا يمكن وضع فاصل بين العقل واعضاء الحس (عامود,2001).

يعتقد سيتشينوف ان للتجربة والممارسة اهمية خاصة في الحياة النفسية. وقد اكد ان التجربة هي مصدر نشوء الفكر وتطوره, ويرى ان الحس هو ظاهرة نفسية تنشأ عن الحركة المستمره للكائن الحي في الوسط الذي يعيش فيه. ووجد ايضاً ان الاحساس هو شكل او انعكاس للواقع (Се́ченов И. М. ,1953).

لقد تناول سيتشينوف النشاط العقلي في العديد من ابحاثه وقد وجد انه يشمل ثلاث مراحل:

1. الاحتكاك المباشر بالموضوعات الخارجية والتعامل معها بصورة منفصلة.
2. مقارنة تلك الموضوعات بعضها مع بعض .
3. الوقوف على التشابه والاختلاف.

من هذا المنطلق يرى سيتشينوف ان الاحساس هو اصل النشاط العقلي عند الطفل وقاعدته. ويرى ايضاً ان التفكير عند الاطفال يمر بعدة مراحل واطوار , وهي :

- النشاط الذهني (فقط ذهني ولا يتعدى حدود التوجه في الزمان والمكان)
- النشاط المادى والحسي (الاعتماد على الاحساسات البصرية واللمسية والسمعية) يجد الاطفال صعوبة الربط المنطقي بين الموضوعات .
- تجربة الكبار التي يتمثلها الطفل.
- التفكير المجرد (الغير حسي), ارقى مرحلة في التفكير .

ويشدد كثيراً سيتشينوف على ان النشاط الحركي له اهمية بالغة في نشوء التفكير. ويأتي لنا بدليل على قوله فيورد مثالاً على تشكل مفهوم العدد عند الاطفال من خلال عملية

العد بالخطوات ويجد ان الحركات التي تتخذ شكل المشي والاحساسات العضلية التي تنشأ اثناءها تلعب دوراً كبيراً في تكوّن هذه النشاطات الذهنية (Céченов И. M., 1953).

كان لسيتشينوف الاثر الكبير في تقدم علم النفس وخاصة علم النفس الفيزيولوجي. ولا شك ان افكاره وتجاربه خدمت الكثير ممن يعملون في ميدان علم النفس والعلوم الانسانية. ونجد من تلامذته الذين ساروا على دربه وعمقوا افكاره من امثال, فيدينسكي, تارخانوف وبافلوف.

إيفان بيتروفيتش بافلوف ونظرية الاشراط الكلاسيكي في علم النفس

ايفان بيتروفيتش بافلوف (1849–1936). ولد لعائلة فقيرة ومتواضعة. تعلم في جامعة سانت بطرس بورغ في قسم العلوم الطبيعية. وقد تعرف بافلوف على نخبة من العلماء خلال دراسته وفي مقدمتهم عالم الكيمياء منדليف وبوتليروف وعالم النبات بيكتوف وبوردوين وعالما الفيزيولوجيا اوفسيانيكوف وتسيون. وقد تعلق بافلوف بالفيزيولوجيا وعمل في هذا المجال مع العديد من العلماء امثال : تسيون , ستيموفيتش, بوتكين. وفي عام 1884 سافر الى المانيا لدراسة الفيزيولوجيا لعامين استطاع خلالهما ان يطور قدراته في هذا المجال وقد تعرف على علماء المان في هذا المجال امثال : غيرنغاين ولودفيغ.

لقد بحث بافلوف الكثير من المظاهر الفيزيولوجية التي ساهمت في تقدم الكثير من العلوم وخاصة العلوم الطبية, اما ابحاثه ودراساته في مجال فيزيولوجيا الدماغ فقد ساهمت في تقدم ميدان علم النفس, لقد قام بافلوف بدراسة وظائف الدماغ عن طريق ما سماه "طريقة الانعكاسات الشرطية" وقد انطلق بافلوف في ابحاثه من نظرية سيتشينوف الانعكاسية

وما توليه للعضلات من اهمية بالغة في نشوء مختلف المظاهر الخارجية للنشاط الدماغي (عامود,2001). وقد اقترح بافلوف مفهوم الانعكاس الشرطي تعبيراً عن آلية النشاط العصبي المعقد ويقابل هذا المفهوم مفهوم آخر هو الانعكاس غير الشرطي الذي يدل على الاستجابة الغريزية.

ان الانعكاسات الشرطية تؤلف مجموع الخبرات التي يكتسبها الفرد خلال حياته. ولم يفصل بافلوف بين النوعين بل اكد على ارتباط الشرطية منها بغير الشرطية. هذا الارتباط يظهر لديه في كون الانعكاس الغير شرطي يعتبر كقاعدة فيزيولوجية تقوم عليها الانعكاسات الشرطية. ومن تجارب بافلوف التي توضح الانعكاس الغير شرطي والانعكاس الشرطي هي تجربته الكلاسيكية على الكلب وخلاصة هذه التجربة هي ان تقديم الطعام للكلب كمنبه طبيعي يستدعي سيلان لعابه.

الانعكاس الغير شرطي

طعام ⟸ سيلان لعاب

اقتران هذه العملية (تقديم الطعام) بعد ذلك بضوء مصباح كهربائي او صوت جرس او لمس الجلد كمنبه ثانوي والذي لا يثير لدى الحيوان في الاحوال العادية الا الانعكاسات التوجيهية الفطرية الغريزية (الانتباه = ما هذا ؟) (عامود,2001).

الانعكاس الشرطي

ضوء او صوت او لمس جلد ⟸ انتباه ؟

مع تكرار هذا الاقتران عدد من المرات والمحافظة على تقديم المنبه الطبيعي بعد المنبه الثانوي (الضوء,الجرس..), لاحظ بافلوف ان هذا المنبه اخذ يثير لدى الكلب انعكاساً شرطياً مثلما كان يفعل الطعام وحتى لو لم يقدم اليه طعام.

يقول بافلوف: " ان التوافق الزمني للمنبهات الجانبية مع الانعكاس الغير شرطي مره او عدة مرات هو الشرط الاساسي لتشكل الانعكاس الشرطي" (بافلوف, 1951).

ان تجارب وآراء بافلوف كان لها الاثر الكبير على علم النفس الروسي والعالمي , وكانت افكاره الهام لعلماء نفس روس وعالميين لبناء اتجاهات في علم النفس.

بيختيريف مؤسس علم النفس الانعكاسي في روسيا (1857–1927)

هو فلاديمير ميخائيلوفيتش بيختيريف, والذي يعتبر مؤسس المدرسة الانعكاسية في علم النفس. لقد انشأ بيختيريف مختبر للدراسات السيكوفيزيولوجية في روسيا. لقد كتب بيختيريف العديد من المؤلفات في فيزيولوجيا الجهاز العصبي المركزي. ويرى ان المنبهات الداخلية تدفع الحيوان والانسان الى القيام بالحركات والافعال شأنها شأن التنبيهات الخارجية. لقد اسس بيختيريف علم النفس الانعكاسي, وهو علم جديد يدرس شخصية الانسان من الناحيتين, البيولوجية والاجتماعية (عامود,2001).

يقول بيخيريف : " ... علينا ان نسير في طريق دراسة العلوم الطبيعية للمادة في محيطها الاجتماعي, وان نتبين صلة الافعال والتصرفات, وجميع المظاهر الاخرى للشخصية الانسانية, بالاسباب الخارجية التي تستدعيها في الحاضر والماضي على حد

سواء, وذلك بقصد اكتشاف القوانين التي تخضع لها هذه المظاهر وتحديد تلك الارتباطات القئمة بين الانسان والعالم الفيزيائي والبيولوجي وخاصة الاجتماعي المحيط به " (Бехтерев B.M., 1926).

لقد اسس بيختيرف نظريته على آراء سيتشينوف في الفيزيولوجيا, وقد صبغ اتجاه علم النفس الروسي بصبغة الانعكاسية في تلك الفتره.

فلاديمير الكسندروفيتش فاغنر ونظرية "تأرجح الغرائز" في علم النفس (1849–1934)

يعتبر فاغنر من رواد علم النفس الروس الذين درسوا علم النفس وارتباطه بالعمليات البيولوجية والفيزيولوجية للجهاز العصبي المركزي. لقد درس فاغنر في جامعة سانت بطرس بورغ في كلية العلوم. كتب العديد من المؤلفات التي اوضح فيها افكاره , اهمها :" الاسس البيولوجية لعلم النفس المقارن" , " نشأة القدرات النفسية وتطورها", " البيوسيكولوجيا والعلوم المجاورة".

يرى فاغنر ان دراسة سلوك الكائنات الحية تقتضي الاخذ بمبدأ الارتقاء والنشوء. هذا المبدأ يساعد الدارس والباحث على تتبع التغيرات الكمية والنوعية التي تطرأ على سلوك الكائن الحي لدى الانتقال من درجة الى درجة اخرى في سلم تطور الاحياء (عامود,2001).

يقول فاغنر: "... إن البرهان على أنّ الغرائز هي انعكاسات فحسب ليس أكثر إقناعاً من البرهان على أن جناح الفراشة والطير والطائرة هي ظواهر من نوع واحد. صحيح إنها متجانسة من حيث التكيف مع الطيران، ولكنها مختلفة تماماً في الجوهر. كذلك حال الانعكاسات مع الغرائز. فهذه الظواهر متجانسة من وجهة نظر القابلية للتكيف. وهذه

وتلك موروثة... وعمياء. بيد أن التأكيد، من منطلق العلامات الجزئية للتشابه، على أن هذه الظواهر متجانسة، وافتراض أنه لدى دراسة آلية الانعكاسات يمكننا التعرف على الغرائز، أي أن نقف على قوانين تطورها وعلاقاتها بالقدرات العقلية وقوانين تغيرها وتشكلها، أمر يجانب الحقيقة بشكل صارخ، قد لا يكون معه الإصرار على النقيض مسوَّغاً" (Петровский А. В., 1967).

ويشير فاغنر الى ان الغرائز والانعكاسات متجانسة في جانب , وغير متجانسة في جانب آخر. وقد قام بالعديد من الابحاث والدراسات التي استطاع من خلالها ان يؤكد على المنشأ الانعكاسي للغرائز وصاغ نظريته حول "تأرجح الغرائز" والذي قدم من خلالها فهماً جديداً لطبيعة الغرائز وتكوينها (عامود,2001).

لقد منح فاغنر الغرائز سمة المرونه والتأرجح مشيراً الى ضرورة الاهتمام بالفرد, ومدى اختلاف مستوى تكيفه مع الشروط الخارجية عن مستوى تكيف سواه ممن ينتمي الى نفس النوع الحيواني. رغم ان آراء فاغنر لم تعزز بامثلة من الواقع, وبقيت نظريته "تأرجح الغرائز" دون سند علمي او دليل محسوس الا ان ما جاء به من افكار وآراء يعتبر خطوة هامة على طريق تفسير السلوك.

علم النفس الروسي حتى الثورة الاشتراكية

يمكننا ان نرى ثلاث اتجاهات اساسية في علم النفس الروسي منذ نشأته حتى الثورة الاشتراكية, وذلك اعتماداً على افكار العلماء في هذا المجال, هذه الاتجاهات هي (عامود,2001) :

- الاتجاه المثالي (التأملي), ويمثله زينكوفسكي, فيدينسكي, لابشين, لوباتين و لوسكي .
- الاتجاه الطبيعي ويمثله لانج, لازورسكي, بيختيريف, فاغنر. ودراسة السلوك تتم عن طريق الملاحظة الموضوعية والتجربة العلمية وهم ينتقدون الاستبطانية, ويركزون على الانعكاسية.
- الاتجاه الامبيريقي (الخبري), ويمثله جيلبانوف, سيكورسكي. هذا الاتجاه يحتل موقع الوسط بين الاتجاهين السابقين وقد درس هذا الاتجاه العلوم الطبيعية واستخدمها في الدراسات السيكولوجية.

لقد كان علم النفس الانعكاسي من اقوى الاتجاهات والمدارس النفسية في روسيا حتى وفاة زعيمه بيختيريف عام 1927. وقد كانت في حينها العديد من الاتجاهات النفسية التي عارضت فكرة علم النفس الانعكاسي, وخاصة كون علم النفس الانعكاسي ينفي الانعكاسية للوعي, ويعد فيجوتسكي من ابرز المتحمسين لموضوع الوعي في علم النفس. وهو احد الذين عارضوا المادية الآلية التي طبعت علم النفس الانعكاسي. لقد كتب فيجوتسكي مقال بعنوان: "الوعي بوصفه مشكلة علم النفس", والذي اعتبر لدى الكثير من علماء النفس الروس على انه اول عمل سيكولوجي يقدم فهماً سليماً للوعي.

بعد وفاة بيختيريف تواصلت الانتقادات لعلم النفس الانعكاسي مما ادى الى اضعافه بدرجة كبيرة. وفي عام 1923 ظهرت سلسلة من المقالات التي طالبت باصلاح علم النفس, ونجد ان بعض علماء النفس الروس اعتنقوا تعاليم فرويد وعلم النفس التحليلي كمحاولة

للخروج من الازمة. لقد وجه لهؤلاء انتقادات كبيرة, وهذا بيتروفسكي يلخص الانتقادات التي وجهت إلى الفرويدية في تلك الآونة، فيجد أنها تمحورت حول(عامود,2001) :

- أن فرويد أغفل الصراع الحقيقي بين القوى الاجتماعية وتأثيراته في تطور الشخصية، واستبدل به الصراع بين الرغبات اللاواعية والوعي.
- أَنّ فرويد حين يقول بأسبقية اللاوعي، إنما يضع نفسه في خدمة المذهب الميتافيزيائي الذي ينظر إلى الوعي واللاوعي خارج الزمان والمكان وأنه لا علاقة لهما البتة بالتاريخ الاجتماعي.
- أَنّ الجانب اللاواعي قد يلعب دوراً في حياة الشخصية. ولكن هذا الدور يظلّ محدوداً جداً في الحالات العادية، ولا يظهر إلا في الحالات المرضية.
- إن الفرويدية تتعامى عن المحتوى الثري للنفس ولا ترى إلا الرغبة الجنسية والسعي للحصول على اللذة من بين الحاجات والدوافع الغريزية والاجتماعية.
- إن منهج التحليل النفسي هو منهج ذاتي يمكن لمن يستخدمه أن يصل إلى نتائج تتعارض مع ما يتوصل إليه محلل آخر. وفي الحالتين يكون نصيب تلك النتائج من الموضوعية قليلاً، وقدرتها على الإقناع ضعيفة.

كما وانتشرت في روسيا افكار (آدلر) مؤسس "علم النفس الفردي" وافكار لونغ صاحب "علم النفس الجمعي". وكذلك اقبل علماء النفس الروس على الغشتالتية. وقد عانى علم النفس الروسي من صراعات وخلافات كبيرة, وقد دعى علماء النفس هناك الى البحث عن مخرج من هذه الازمة. ففي نظرهم الاتجاه الانعكاسي والموضوعي والسلوكي حتى الغاشتلتي بدى عاجز عن حل الكثير من المشكلات الميدانية والنظرية. نتيجة هذه الصراعات سعى العلماء الى ايجاد اتجاه جديد في علم النفس, وبما ان الماركسية كانت تعرف الانسان بانه كائن اجتماعي فقد اخذ الاتجاه الجديد البعد الاجتماعي للانسان بعين الاعتبار. وهنا يقول جيلبانوف(1962): "إن رمز إصلاح علم النفس في ظل الأيديولوجيا الجديدة يجب أن لا يكون إعداد مزلاج لدراسة الانعكاسات الشرطية، كما هو جار في المؤسسات السيكولوجية المعاصرة، وإنما تنظيم العمل لدراسة علم النفس الاجتماعي" (عامود,2001).

لقد اغفل علم النفس الانعكاسي الشروط الاجتماعية واثرها في تكوين السلوك الانساني. وقد حاول كارنيلوف اصلاح علم النفس وبناءه على اساس الماركسية واستطاع ان يستقطب نخبة من الباحثين الشباب ممن كانوا يعملون في معهد علم النفس بموسكو او في كليات العلوم الاجتماعية بجامعة موسكو امثال , ارتيموف, دوبرينين, فيجوتسكي , لوريا, ليونتيف, جوجماروف وغيرهم. وقد تمكن عدد من الباحثين من لفت الانظار في تلك الفتره الى افكارهم وتحليلاتهم العميقة في المجالات المختلفة لعلم النفس كمثل بلونسكي وباسوف وفيجوتسكي.

لقد نشر بلونسكي (1935) عدة مؤلفات , اهمها "التذكر والتفكير" , "تطور التفكير عند

التلاميذ"، وكان لهذين الكتابين صدى كبير في ميدان علم النفس الروسي. اما باسوف (1892–1932) فقد كتب عدداً من المؤلفات اهمها, "الاسس العامة لعلم النفس" , "طريقة الملاحظات السيكولوجية للاطفال". ان ما يلفت الانتباه لدى باسوف هو نظرته الى الانسان كعضو فعال في الوسط الذي يحيى فيه , وتلك خاصية عنده يتميز بها عن باقي الكائنات الحية. يقول باسوف: " ان الانسان , خلافاً للحيوان , لا يتكيف بنفسه مع البيئة فقط, وانما يكيف البيئة معه من خلال تأثيره عليها وتحويله لها في مجرى عمله بمساعدة ادوات العمل المصنعة" (Петровский А. В., 1967). لقد صاغ باسوف نظريته في تطور النفس على أساس العلاقة المعقدة والوثيقة بين الجانبين: البيولوجي والبيئي، الموروث والمكتسب، واعتبر أن الوراثة والبيئة هما العاملان اللذان يحددان تطور الكائنات الحية العليا عامة، والإنسان خاصة. ووجد أن من غير الممكن فهم عملية التطور فهماً سليماً ما لم يؤخذ هذان العاملان معاً بعين الاعتبار، ويتحدد دور كل منهما فيها.

علم النفس في الاتحاد السوفيتي

ليف سيميونيفيتش فيجوتسكي ونظريتة في علم النفس

ليف سيميونيفيتش فيجوتسكي (1896–1936), وهو الذي يعتبر مؤسس اكبر المدارس في علم النفس الروسي في فترة السوفييت. ولد في اورشا ونشأ في بيلاروسيا, عمل في مطلع حياته معلماً في مدارسها. مال فيجوتسكي الى دراسة الادب وقد قرأ ودرس بوشكين وشكسبير وكتب تحليلا سيكولوجياً لاعمالهم الفنية في عمل اطلق عليه اسم "سيكولوجية الفن". درس فيجوتسكي في جامعة موسكو وقد عمل مع كارنيلوف في معهد علم النفس

بموسكو. التقى فيجوتسكي في هذا المعهد مع لوريا وليونتيف فكوّن مجموعة كان له فيها الدور القيادي. وقد ساهمت هذه المجموعة في تحديد معالم ومصير علم النفس الروسي (عامود,2001).

لقد اهتم فيجوتسكي بدراسة الفنون كما ذكرنا من الناحية السيكولوجية ويرى ان الانفعال هو شكل اجتماعي موضوعي يكتسي في الانتاج الفني صبغة مادية عبر الوسائط الاشارية الخاصة. فهو يعتبر الانتاج الفني اداة اجتماعية يتم عن طريقها اعادة صياغة الانفعالات وتحويلها الى حالات نفسية مصحوبة بتغيرات فيزيولوجية عميقة (Выготский Л. С., 1983.). كذلك بحث فيجوتسكي النمو الجسمي والنفسي عند الاطفال الاسوياء والمرضى, واهتم بفئة الاطفال المعوقين حركياً والمتخلفين عقلياً. وعمل في مجال علم النفس التربوي فألف كتاباً بعنوان "علم النفس التربوي".وقام بعدد من الابحاث استطاع ان يستنتج منها الآتي: (عامود,2001):

– إن تجاهل الوعي يصرف علم النفس عن دراسة المشكلات السلوكية الهامة ويحصر اهتمامه في العلاقات البسيطة للكائن الحي مع عالمه المحيط.

– إن نفي الوعي والسعي لإقامة سيكولوجية خالية من هذا المفهوم مثلما هو حال "علم النفس بدون الوعي" – حسب تعبير فيجوتسكي نفسه – يعني حرمان الطريقة من أهم وسائل البحث في دراسة الاستجابات التي لا تظهر للعين المجردة، كالحركات الداخلية والكلام الداخلي الاستجابات المبرمجة والمخططة. فدراسة الاستجابات الظاهرية والخارجية التي تبدو بوضوح أمر غير ذي شأن حتى أمام أبسط مشكلات السلوك الإنساني.

– إن عدم الاعتراف بالخطوط الفاصلة بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوانات يفتح الباب أمام طغيان علم الأحياء على علم الاجتماع، والفيزيولوجيا على علم النفس. ويصبح سلوك الإنسان يدرس بنفس الكيفية والقوانين التي يدرس بها سلوك جميع الحيوانات.

– إن استبعاد الوعي من دائرة الاهتمام السيكولوجي يجعل البحث يدور في الحلقة البيولوجية ويقود إلى نتائج خاطئة عن السلوك الإنساني.

لقد لاحظ فيجوتسكي على علم النفس التقليدي غياب البعد التاريخي والاجتماعي في تناوله للوظائف النفسية العليا, ويرى ان الوظائف النفسية العليا عند الاطفال كالكلام والرسم والقراءة والكتابة والاستدلال والتصور ونشوء مفهوم العدد والعمليات الحسابية, لم تدرس الا من جانبها الطبيعي ومن زاوية العمليات التي تتألف منها (عامود,2001). ويعتقد فيجوتسكي ان سلوك الانسان هو نتاج عمليتين مختلفتين من التطور النفسي:

اولاً : الارتقاء البيولوجي للانسان.

ثانياً: التطور التاريخي الثقافي للانسان.

ان هاتين العمليتين تمثلان خطين مستقلين في التطور الانساني والخلط بينهما هو السبب الاساسي في ازمة علم النفس الطفل. ويحدد فيجوتسكي البحث السيكولوجي في دراسة التطور الثقافي الذي يحدث ضمن سياق التطور العضوي. يركز فيجوتسكي على الدور الحاسم الذي يقوم به التاريخ الاجتماعي في التطور النفسي, ويجده ممثلاً في ما ينتجه المجتمع ويطوره مما اسماه "ادوات–اشارات" كاللغة والكتابة والقراءة

والحساب(عامود,2001). ويقول فيجوتسكي : ليست الطبيعة , وانما المجتمع هو الذي يجب ان ينظر اليه في المقام الاول كعامل محدد لسلوك الانسان (Выготский Л. C., 1983).

وفي عام 1929 نشر فيجوتسكي مقالاً بعنوان "تطور الأشكال العليا للانتباه في سن الطفولة". وفي عام 1930 أعقبه بمقال آخر حول "الأداة والإشارة". وخلال عامي 1930 و1931 كتب مؤلفه "تاريخ تطور الوظائف النفسية العليا" الذي لم ينشر إلا بعد وفاته بأكثر من عقدين. وفي عام 1931 ظهر كتابه "التفكير واللغة" .

من خلال هذه الاعمال يظهر منهج فيجوتسكي في دراسة النشاطات النفسية العليا, والذي اسماه المنهج التكويني– التجريبي. يجد فيجوتسكي ان العمليات النفسية العليا تكون في البداية اجتماعية خارجية, ثم تصير فيما بعد نفسية, داخلية ويقصد بذلك ان الوظيفة النفسية تظهر على شكل علاقات بين الناس, ثم تنتقل تدريجياً الى الداخل وتصبح ذاتية وخاصة. وفقاً لنظرية فيجوتسكي فان العمليات النفسية عند الانسان هي منذ البداية اجتماعية المنشأ والشكل, ثم تكتسب في مجرى التطور شكل العمليات الفردية الداخلية (عامود,2001).

كما وبحث فيجوتسكي عملية الكلام لدى الاطفال, ففي حين يذهب بياجيه وأتباعه إلى أن كلام الطفل (والوظائف النفسية الأخرى) يكون في طوره الأول فردياً، ثم يصبح متمركزاً حول الذات، وشيئاً فشيئاً يتحول في الطور الأخير إلى كلام اجتماعي، ويجد السلوكيون أن الكلام يمر بمرحلتين قبل أن يصبح داخلياً (أي تفكيراً)، وهما مرحلة التصويت ومرحلة الهمس، يقرر فيجوتسكي أن الكلام يتطور بالاتجاه المعاكس

للاتجاهين السابقين. ففي المرحلة الأولى يتخذ طابعاً اجتماعياً، ثم يصبح متمركزاً حول الذات، وفي السنة السابعة من عمر الطفل يصير داخلياً (عامود,2001).

مراحل نمو الكلام عند فيجوتسكي

كلام ذو طابع اجتماعي ⟸ كلام متمركز حول الذات ⟸ كلام داخلي

ولقد أشار فيجوتسكي إلى هذا الخلاف بقوله: "ويختلف التصور الكلي لنمو الكلام وفقاً للتفسير الذي يعطي لدور الكلام المتمركز حول الذات. وتصورنا التخطيطي لهذا النمو على النحو التالي: الكلام الاجتماعي أولاً، ثم الكلام المتمركز حول الذات، ثم الكلام الداخلي. ويناقض هذا الموقف الذي نتبناه، من ناحية، التصور السلوكي التقليدي (الكلام الصوتي، الهمس، الكلام الداخلي). ومن ناحية أخرى، التتابع التطوري في تصور بياجيه (من التفكير اللاواقعي اللالفظي خلال التفكير، والكلام المتمركز حول الذات إلى الكلام المطبوع اجتماعياً والتفكير المنطقي" (Выготский Л. С., 1982.).

كما ويرى فيجوتسكي ان عمليتي التربية والتعليم تهدف الى اكساب الاطفال التجربة الاجتماعية والتي تتضمن الادوات-الاشارات (اللغة,الرموز, الجداول...) والمعلومات والمهارات. ويعتقد فيجوتسكي ان عملية استيعاب الطفل للتعلم لا تتم بصورة آلية او تلقائية اثناء مواجهة الطفل لعناصر التجربة والخبرة مثلما يرى بياجيه واتباعه, وانما عبر توسط الكبار وتدخلاتهم وتوجيهاتهم. ويرى ان التطور النفسي هو نتاج العلاقة التي يقيمها الراشدين مع الطفل منذ اللحظات الاولى لولادته. اذ ان الراشد يمثل المجتمع والخبرة الاجتماعية, وهو المؤهل لنقلها الى الطفل (عامود,2001).

وفقاً لفيجوتسكي فان التعليم هو عبارة عن نشاط اجتماعي تربوي يتولاه الكبار من اجل نقل تجاربهم الى الصغار. هذا يعني ان التعليم هو الشرط الاساسي للتطور النفسي. فهو يكّون ما اطلق عليه "منطقة التطور القريب" . وقصد بهذا المصطلح التحسن في قدرة الطفل على حل المشكلات التي تعترضه نتيجة المساعدات التي يقدمها الكبار له, ويعتقد ان الطفل عندما يواجه مشكلة في حل المسائلة ويقوم الراشد بمساعدته فانه في المستقبل سيقوم بحلها او ما يشابهها بمفرده.

ويرى فيجوتسكي ان نجاح هذه العملية يعود الى معرفة ودراية الراشد بقدرات الصغار. ومن هذه القاعدة أيضاً امتدت معارضة فيجوتسكي لتشمل مسألة أخرى ذات أهمية نظرية وتطبيقية، وهي مسألة الاختبارات التي شاع استخدامها في علم النفس. فمن المعروف أن الاختبار هو مجموعة من الأسئلة أو المشكلات التي يرى واضعوه أنها تقيس مستوى القدرات العقلية عند فئة من الناس. ويرى فيجوتسكي أن الإجابات على الكثير من الأسئلة تعتمد على ما اكتسبه المفحوص من معلومات أو خبرات. وإن العجز عن تقديم إجابات صحيحة لا يعتبر بحد ذاته دليلاً كافياً على ضعف هذه القدرة أو تلك عند المفحوصين الذين يظهرونه بقدر ما هو نتيجة لعدم اكتسابهم بَعْدُ المعلومة أو الخبرة التي يتطلبها السؤال. ويخلص إلى القول بخطأ الحكم على هؤلاء المفحوصين وأترابهم، وبتعسف القرار الذي يتخذ بحقهم بناءً على درجاتهم في الاختبار فقط(عامود,2001).

وكبديل لهذه الطريقة اقترح فيجوتسكي إجراء دراسات متعددة ومتنوعة، واستخدام تجارب مختلفة فيها، مع تطبيق التجربة الواحدة مرتين يتم في الأولى الكشف عن حجم المساعدة التي يحتاج إليها المفحوص (الطفل) لحل المسائل والمشكلات التي يتضمنها

الاختبار. أما الثانية فتخصص لدراسة قدرات المفحوص على حل نفس المسائل والمشكلات بصورة مستقلة وبدون مساعدة من أي طرف(عامود,2001). ويعتقد فيجوتسكي أن هذا الإجراء يمكن الباحث من تحديد منطقة التطور القريب عند المفحوص عن طريق معرفة استفادة هذا الأخير من المساعدات التي قدمت له في المرة الأولى، وتمثله للوسائل والطرائق التي استخدمت خلالها وإمكانيته على نقلها وتعميقها في المرة الثانية (عامود,2001).

ما زالت ولا زالت افكار فيجوتسكي تستدعي النظر والتفكر العميق. وهي من دون شك استطاعت ان توجه مسار علم النفس الروسي خاصة وعلم النفس العالمي بشكل عام. ان فيجوتسكي رغم عمره القليل الا انه استطاع ان يغرس افكاره في رؤوس الكثير من المفكرين الروس وغير الروس مما ساعد في تطور ونمو ميدان العلوم السلوكية . اننا نرى وبحق ان نظرية فيجوتسكي التاريخية الاجتماعية بحاجة الى البحث العميق لانها قريبة كل القرب للمجتمعات الجمعية, وهي قد تكون اكثر ملائمة لمجتمعنا العربي من تلك النظريات الغربية التي بنيت على الفردية. ويمكن الافادة منها في بناء محك نفسي لشرح وتفسير السلوك في مجتمعنا وكذلك يمكننا بناء مقاييس واختبارات للقدرة العقلية على اساسها.

سيرغي ليونيدوفيتش روبينشتين وعلم النفس

يعتبر روبينشتين من رواد علم النفس الروس الذين سعوا الى تحديد معالم علم النفس الروسي. ولد في مدينة اوديسا ودرس في المانيا ثم عمل مدرساً في ثانويات اوديسا. ثم اصبح محاضراً في قسم الفلسفة في جامعة اوديسا. وبعد ذلك عين استاذاً في قسم علم

النفس في معهد التربية الوطنية. في عام 1922 كتب مقالات عديدة من اهمها " مبدأ النشاط الذاتي الابداعي: الاسس الفلسفية للتربية المعاصرة" . وفي عام 1930 انتقل الى مدينة سانت بطرس بورغ. وقد اشرف على قسم علم النفس في معهد "غيرتسن" للتربية الذي كان يضم مجموعة من علماء النفس امثال مياسيشيف, ميرلين, لوبلينسكايا, نيكيتينا وغيرهم. في تلك الفترة ألف كتابين هما: "اسس علم النفس" (1935), "اسس علم النفس العام"(1940).

ان مؤلفات روبينشتين ساهمت في نمو وتطور علم النفس الروسي, واهم ما كتب "الوجود والوعي", "التفكير وطرائق التدريس", "اسس وطرائق تطور علم النفس", "مشكلات علم النفس العام".

لقد بحث روبينشتين في العديد من مجالات علم النفس, كما واهتم بمفهوم النشاط لدى الانسان وما كان يعنيه هذا المفهوم بالنسبة له هو:

- أنه نشاط الذات حصراً، وبه يتميز الإنسان عن الحيوان والآلة ويتفوق عليهما.
- أنه تفاعل الذات والموضوع، ولذا فهو، بالضرورة، مادي وواقعي وذو محتوى، وليس رمزياً أو صورياً أو متوهماً.
- أنه نشاط مبدع دوماً.
- أنه نشاط مستقل، ولكن استقلاليته لا تتعارض أبداً مع تعاون الذات والغير، ولا تتنافى مع النشاط المشترك لأفراد المجتمع.

وبصرف النظر عن الانتقادات التي وجهت الى روبنشتين, فإن إسهامه في إقامة علم النفس على أسس جديدة داخل الاتحاد السوفيتي واضح، ومشاركته في تطوير هذا العلم على المستوى العالمي أمر لا يرقى إليه شك (عامود,2001).

الكسندر رومانوفيتش لوريا وإسهاماته في علم النفس الروسي

درس وتعلم لوريا (1902–1977) في جامعة كازان. ثم توجه الى موسكو وعمل فيها, في معهد علم النفس. لقد بحث لوريا موضوع الانفعالات بمشاركة ليونتيف. كما وتعرف لوريا على فيجوتسكي وعملا معاً في معهد علم النفس. لقد ظهر نشاطهما العلمي لاول مرة في مقال لهما بعنوان " موجز تاريخ السلوك" عام 1930, هذا المقال سعى الى تجسيد مبدأ الحتمية الاجتماعية والتاريخية في علم النفس. وكتب لوريا وفيجوتسكي كتاباً بعنوان "الاداة والاشارة" وفيه وضع الاثنان قواعد نظريه وعمليه لمشكلة النشأة الاجتماعية للوظائف النفسية العليا. وضمن هذا الإطار لاحظ لوريا و فيغوتسكي أنه في الوقت الذي ينجز فيه الإنسان نشاطه العملي بواسطة الأدوات المادية الإنتاجية، يتحقق نشاطه النفسي بمساعدة الأدوات الخاصة بالإنتاج الروحي والثقافي المتمثلة في منظومة متنوعة من الإشارات. ومن ضمنها، وأهمها الإشارات الكلامية (اللغة). وهذه المنظومة تحمل طابعاً اجتماعياً وتاريخياً. فالمجتمع البشري هو الذي صنعها وطورها خلال نشاط الأجيال المتعاقبة. وهي تُحضر وتُستعمل كوسيلة لتجمع الناس واتصالهم بعضهم ببعض. وشيئاً فشيئاً ومع استعمال الفرد منذ طفولته لها أثناء معاشرته للكبار وامتلاكه لها تتحول إلى وسائل يمتلك بواسطتها نشاطه الخارجي، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى تشكل العمليات النفسية الوسيطية الخاصة بالإنسان، كالانتباه الإرادي والتذكر المنطقي

والتفكير المجرد... الخ (عامود,2001). كما وبحث لوريا عملية التذكر, ووجد ان التذكر يكون في البداية خارجياً ومباشراً. وان الوظائف النفسية العليا تتشكل على هذا النحو حيث تبدأ من الخارج ومع الموضوعات المادية وتتحول تدريجياً الى الداخل بمساعدة الرموز والاشارات. وهو يقول : "يبدأ فعل الطفل بإشارات الأم وأوامرها، وينتهي بتغير وجهة نظره أو بحركات يده. وفي هذه المنظومة يقسم الفعل بين اثنين: أمّ تبدأ الفعل، وطفل يكمله. وفي بنية الفعل هذه تتوضع مصادر الفعل الإرادي". , Лурия А.Р. (1974).

المقصود هنا ووفقاً لرأي لوريا, فان الطفل يخضع لتوجيهات الام في البداية, ثم يستخدم كلامه الخاص كوسيلة توجه سلوكه وتنظمه. وبالإضافة إلى دراسة تشكل الوظائف النفسية العليا وتطورها عند الإنسان عبر مراحل حياته قام لوريا بدراسة للتحقق من صحة الفرضية القائلة بأن الشروط الاجتماعية هي التي تحدد مضمون تلك الوظائف وبنيتها الداخلية. وهذه الدراسة التي أُجريت خلال عامي 1930 و1931 هي أول دراسة في الاتحاد السوفيتي تهدف إلى معرفة الفروق في الخصائص النفسية بين الناس الذين ينتمون إلى بيئات ثقافية متفاوتة. فقد تمّت في أحد أرياف جمهورية أوزبكستان حيث كان الناس يعيشون في ظلّ ظروف اقتصادية واجتماعية متخلفة جداً. ولقد مكّنت هذه الدراسة من الوقوف على قدرات عينة تمثل ذلك المجتمع الذي كان يضم رجالاً أميين يستخدمون في نشاطهم الإنتاجي الزراعي والرعوي البسيط أساليب بدائية. كما يضمّ نساء يعشن في عالم خاص ومغلق. فالتفكير عند أفراد العينة يحمل طابعاً محدداً وصورياً خالصاً. وهذا ما دللت عليه تلك الصعوبات التي كانوا يواجهونها أثناء حل مسائل لا تتطلب منهم سوى القدر الأدنى من التجريد والتعميم والمرونة الذهنية والتسلسل المنطقي

(1974 , Лурия А.Р.). وعلى الرغم من أن عناصر تلك المسائل وموضوعاتها لم تكن غريبة عن بيئتهم، إلا أنهم لم يتمكنوا من تجاوز انطباعاتهم الحسية حولها أو الصور التي كانوا يحملونها عنها إلى التعامل معها على أساس ما يجمعها أو يفرقها من صفات وخصائص مشتركة أو مختلفة. فبدل أن يضعوا الألوان في فئات تجمع كل واحدة منها تموجات اللون وتدرجاته (تدرجات اللون الأحمر في فئة وتدرجات اللون الأخضر في فئة ثانية...وهكذا)، أقاموا تقسيمهم للألوان حسب خبرتهم الحياتية الحسية، حيث فصلوا كل تدرج عن التدرجات الأخرى عن طريق ربطه بموضوع مشخص ومعروف لديهم. فعزلوا تدرجات اللون الأخضر بعضها عن بعض لأن أحدها يمثل، حسب تصورهم، لون العشب في فصل الربيع، والآخر يمثل لون أوراق أشجار معينة...الخ (Лурия А.Р. , 1976). يرى لوريا ان الخصائص النفسية الانسانية تتكون في ظل الشروط الاجتماعية ومن خلال النشاط الذي يمارسه الناس. ولا يرى لوريا ان العوامل البيولوجية هي التي تقرر مستوى تلك الخصائص عند نوع ما من الناس. لقد سعت ابحاث لوريا الى ابراز الدور الحاسم للادوات والاشارات في الحياة النفسية للانسان. والانسان يتطور وفقاً لتطور هذه الادوات والاشارات وذلك من خلال النشاط التاريخي الثقافي. كما واهتم لوريا وبحث الآليات الدماغية للنشاط الانساني ووضع عدداً من الاختبارات لتشخيص الاضطرابات النفسية الناجمة عن اصابات الدماغ (عامود, 2001).

لقد لاقت افكار لوريا اقبال كبير في روسيا وخارجها وخاصة افكارة التي تعلقت بموضوع علم النفس العصبي "النيروسيكولوجيا ".

الكسي نيكولايفيتش ليونتيف والنشاط الاجتماعي (1903– 1979).

اما بالنسبة لليونتيف فقد كانت اهتماماته قريبة من اهتمامات لوريا , وقد درس الانفعالات. وعمل مع فيجوتسكي ولوريا في معهد علم النفس بموسكو. قام لينتيف بالعديد من التجارب والابحاث التي اسهمت في تقدم علم النفس الروسي. وقد بحث النشاطات النفسية كالتذكر واعتمد في ابحاثه على فكرة التوسيط الاداتي الاشاري الذي نادى بها فيجوتسكي. لقد ألف ليونتيف كتاب بعنوان " تطور الذاكرة, دراسة تجريبية للوظائف النفسية العليا" عام 1928.

لقد تمحورت ابحاث وتجارب ليونتيف حول المواضيع التالية :

- التطور النوعي للنفس, نشأة الحساسية بصورة خاصة.
- التطور الوظيفي للنفس, تكّون النشاط وتوظيفه.
- نشأة الوعي وتطوره.

يقول ليونتيف :"ان الطفل , لا يزج ببساطه في عالم البشر, وانما يخله الناس المحيطون به الى هذا العالم , ويشرفون عليه فيه" (Леонтьев А. Н.1959). ويعتقد انه من غير النشاط الاجتماعي لا يمكن ان تتكون وظائف الوعي او سمات الشخصية الانسانية.

الخلاصة :

ان علم النفس, مما لاشك فيه تقدم وتطور بصورة كبيرة وذلك بفضل جهود ومساهمات الكثير من العلماء والمفكرين الذين قضوا وقتاً طويلاً من حياتهم يبحثون جوانب النفس البشرية, ونجد ان عدد كبير من العلماء باختلاف اعراقهم واوطانهم تمكنوا من بناء مفهوم عام لعلم النفس ومحكات لتفسير وفهم السلوك ومحاولة ضبطه . واننا في هذا

المقام اذ نشيد بمساهمة علماء النفس الروس في بناء هذا العلم وتطويره لاننا نرى ان افكار هؤلاء العلماء لم تحصل على الاهتمام الكافي والملائم وذلك لوجود حاجز الاشتراكية , ورغم اننا نجد اليوم توجهاً غربياً تجاه نظريات نفسية روسية كنظرية فيجوتسكي ولوريا وغيرهم فان هذا يدل على ان حاجز الاشتراكية كان وما زال موجوداً وان كان وهمياً .
ان معرفتنا لما قدمه العلماء الروس في ميدان علم النفس وخاصة الاتجاه الثقافي الاجتماعي يعطينا القدرة على مراجعة نظريات نفسية قائمة, قد تكون بنيت على الفردية واغفلت الجوانب الاجتماعية, وبهذا ما زالت تعاني من العجز في اعطاء الحلول الملائمة لمختلف المشكلات السلوكية والنفسية وخاصة في مجال القياس النفسي.

من هذا المنطلق نجد ان الاتجاه الثقافي الاجتماعي والذي نادى به فيجوتسكي قد يكون محكاً نفسياً ملائماً لمجتمعنا العربي, والذي هو مبني على اثر البيئة ويعتمد كثيراً على العلاقات الاجتماعية والثقافية وفكرة هذه النظرية بعيدة كل البعد عن الفردية. واننا نشير في نظرية فيجوتسكي الى الجانب التشخيصي للقدرات العقلية الذي يمكن ان يكون اساساَ لبناء اختبارات تقوم على قياس ذكاء الاطفال في مجتمعنا العربي.

المصادر العربية

عاقل فاخر (1981) .التعلم ونظرياته، ط5، دار العلم للملايين، بيروت.

عامود,بدر الدين (2001).علم النفس في القرن العشرين.منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق.

فيجوتسكي ل. س (1976) . التفكير واللغة، ترجمة د. طلعت منصور، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

روبينشتين س.ي.(1989). علم نفس الطفل المتخلف عقلياً. ترجمة بدر الدين عامود.دمشق.

منصور ع.، مشكلة استعداد الذاكرة للاسترجاع، ملخص أُطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في علم النفس، جامعة موسكو، 1975.

المصادر الاجنبية

Белинский В.Г. (1982) . Избранные педагогические сочинения. Москва.

Белинский В.Г. (1953). Избранные. Москва.

Блонский П.П.(1979). Избранные педагогические и психологические сочинения. В 2-х тт. Москва.

Выготский Л. С. (1983).Собрание сочеинений. Москва.

Выготский Л. С. (1960) . Развитие высших психических функций. — Москва.

Выготский Л. С. (1956) . Избранные психологические исследования. — Москва.

Бехтерев В.М. (1954).Избранные произведения.Л.

Бехтерев В.М.(1926). Основные Рефлексологии.Л.

Выготский Л. С. (1936) .Диагностика развития и педагогическая клиника трудного детства. Москва.
Выготский Л. С. (1935) .Умственное развитие детей в процессе обучения. Москва.
Герцен А.И. (1990) . Огарев Н.П. О воспитании и образовании. Москва.
Герцен А.И. (1954). Избранные. Москва.
Добролюбов Н.А. (1988) .Избранные педагогические сочинения. Москва.
Добролюбов Н.А. (1961) .Избранные педагогические сочинения. Москва.
Лазурский А. Ф. (1929) . Классификация личностей. Л.
Лазурский А. Ф. (1916) . К учению о психической активности. Москва.
Лазурский А. Ф. (1908) . Программа исследования личности. СПб.
Леонтьев А. Н. (1959) .Проблемы развития психики. — Москва.
Ломоносов М.В. (1991) .О воспитании и образовании. Москва.
Лосский Н.О. (1994) .История русской философии. Москва.
Лурия А.Р. (2002) . Письмо и речь: Нейролингвистические исследования. Москва.
Лурия А. Р. (1976) . Основные проблемы нейролингвистики. Москва.
Лурия А. Р. (1976) . Нейропсихология памяти. М., 1974. Т.1 .Москва.
Лурия А.Р. (1974) Об историческом развитии познавательных процессов. Москва.
Лурия А. Р. (1973) Основы нейропсихологии. Москва.

Лурия А. Р. (1966) Лобные доли и регуляция психических процессов. Москва.
Лурия А.Р. (1966) . Цветкова Л.С. Нейропсихологический анализ решения задач. Москва.
Лурия А. Р.(1963) Мозг и психические процессы. Москва.
Лурия А. Р. (1960) Умственно отсталый ребенок. Москва.
Лурия А.Р. (1950) .Очерки психофизиологии письма .Москва.
Лурия А. Р. (1947) Травматическая афазия. Москва.
Лурия А. Р. (1940) Учение об афазии в свете мозговой патологии. Москва.
Лурия А. Р. (1948) Восстановление функций после военной травмы. Москва.
Лурия А. Р. (1927) Речь и интеллект в развитии ребенка. Москва.
Мухина В.С. (2000) . Возрастная психология: феноменология развития, детство, отрочество: Учебник для студ. вузов. - 5-е изд., стереотип. - Москва.
Мухина В.С. (1999) . Детская психология. Москва.
Мухина В.С. (1980) . К проблеме социального развития ребенка // Психологический журнал. - Москва.
Мухина В.С. (1985) . Проблемы генезиса личности. - Москва.
Петровский А. В. (1967) . История советской психологии. Москва.
Петровский А.Н.(1967).Общая развития психологии. Москва.
Радищев А. Н.(1952) Избранные философские и общественно-политические произведения. [К 150-летию со дня смерти. 1802—1952] / Под общ. ред. и со вступит. статьей И. Я. Щипанова. М.: Госполитиздат, Москва.

Радищев А. Н. (1949) . Избранные философские сочинения / Под общей ред. и с предисл. И. Я. Щипанова. Л.: Госполитиздат. Л.
Рубинштейн С.Л. (1976) .Проблемы общей психологии. - Москва.
Рубинштейн С. Я. (1970) . Психология умственно-отсталого школьника.Москва.
Рубинштейн С. Л. (1959) .Принципы и пути развития психологии. – Москва.
Рубинштейн С.Л. (1957) .Бытие и сознание. - Москва.
Рубинштейн С. Я. (1970) .Экспериментальные методики патопсихологии и их применение в клинике. – М.: Медицина. Москва.
Се́ченов И. М.(1953). Избранные. Москва.
Се́ченов И. М.(1902). Предметная мысль и действительность.Москва.
Се́ченов И. М.(1893). О щелочах крови и лимфы.Москва.
Се́ченов И. М.(1891). Физиология нервных центров.Москва.
Се́ченов И. М.(1878). Элементы мысли. Москва.
Ушинский К.Д. (1988) . Педагогические сочинения: В 6т. Москва.
Чернышевский Н.Г. (1983) .Избранные педагогические сочинения. Москва.
Ярошевский М.Г.(1974). История психология . Москва.
Ярошевский М.Г., (1974) .Анцыферова Л.И. Развитие и современное состояние зарубежной психологии. Москва.
Ярошевский М.Г. (1974) .Психология в XX столетии. Москва.

نظرية "السقف" في شرح العنف

علاج العنف وفقاً لنظرية "السقف"

حتى نتمكن من فهم ما هو المقصود من وراء هذه النظرية علينا اولاً أن نفهم ما هو المقصود بالوصف الاستعاري "سقف", الذي رأيت انه قد يمثل فكرة النظرية. ان مفهوم "السقف" في هذه النظرية يشير الى "السقف" الذي يحتاج البالغ الوصول إلية, وذلك ليحصل على الاستجابة المرغوبة لدى الطفل. ولكل طفل "سقف" استجابه خاص به, يتكون من خلال التنشئة الأسرية. هذا السقف يحدد نوع العلاقة بين البالغ والطفل وكيفية التواصل معه في حالات ضبط السلوك. هنالك نوعان من "سقف الاستجابات":

1. طفل ذو "سقف إستجابات" منخفض, يتميز هذا الطفل بالتالي:
   - طفل يسهل التعامل معه
   - يستجيب بالإقناع
   - لا يحب اللوم
   - يهتم برأي البالغ عنه
   - يعترف بخطئه, إذا اخطأ
   - يؤثر فيه الكلام الجارح كثيراً
2. طفل ذو "سقف استجابات" مرتفع, يتميز هذا الطفل بالتالي:
   - طفل يصعب التعامل معه
   - يستجيب بصعوبة شديدة
   - لا يهتم للوم

- لا يبدي الاهتمام برأي البالغ عنه
- لا يعترف بخطئه بسهولة
- يستجيب في اغلب الحالات للعنف الجسدي

لنوضح هذه الصورة نعطي مثال:

احمد في الصف الثاني، يضرب احد زملائه في الصف بالمسطرة على ظهره. يرى المعلم هذا السلوك فيتوجه إليه بصوت عالي:

- احمد!! لماذا فعلت هذا ؟ انت مخطيء .. هذا عمل سيْ .. اجلس مكانك.. ما فعلته اغضبني كثيراً.. ستتأسف له ..

يستجيب احمد لكلام المعلم ويطأطيء رأسه وينظر الى الارض ويجلس صامتاً وقد بدى عليه الاسف... ولا يتكرر السلوك حتى نهاية الدرس.

موقف أخر:

علي يضرب زميله بالمسطره على ظهره فيتجه اليه المعلم صارخاً :

- علي!! لماذا فعلت هذا ؟ انت مخطيء .. هذا عمل سيْ .. اجلس مكانك.. ما فعلته اغضبني كثيراً..ستتأسف له ..

فيقف علي صامتاً... وقد بدى عليه الخوف من المعلم .. ويجلس مكانه.. تمر خمس دقائق فيتكرر السلوك ... فيتجه المعلم غاضباً ودون كلام يمسك علي من اذنه ويشده بعنف ... فيبكي علي ويجلس مكانه... ولا يتكرر السلوك.

في الحالتين نجد ردود فعل مختلفة لدى الطفلين.الاول استجاب للمعلم بمجرد اللوم فارتدع عن سلوكه ولم يكرره. اما الحالة الثانية فان اللوم لم يجدي ولم يصل المعلم للسلوك المرغوب بل احتاج اللامر من

ذلك وهو استخدام العنف الجسدي والذي في النهاية اعطى النتيجه المطلوبة. اذاَ ما التفسير لهذا الامر ؟

هنا تأتي نظرية "السقف" لتفسر السلوك:

في اعتقادي, فان الطفل الاول "احمد", استطاع من خلال التنشأة الاسرية والعلاقة بينه وبين والديه ان يبني "سقف استجابات منخفضاً " وبالتالي فمن السهل على المعلم الوصول اليه والحصول على الاستجابة المرجوة. اما الطفل الثاني "علي" فقد بنى من خلال التنشأة الاسرية "سقف استجابات مرتفع" لم يصل اليه المعلم بسهولة بل احتاج منه الامر ان "يقفز" بشدة كي يصل اليه وبالتالي حصل على الاستجابة المطلوبة.

كيف تعالج هذه النظرية العنف ؟

ان علاج العنف والتعامل معه من خلال هذه النظرية يحتاج الى النقاط التالية:

اولاً: على الاسرة ان تعمل على خفض "سقف الاستجابات " لدى الطفل وذلك منذ اللحظة الاولى في التعامل معه, وذلك عن طريق ردود فعل الوالدين تجاه استجابات الطفل. ان استخدام الوالدان منذ التواصل الاول مع طفلهما الاسلوب الذي يعتمد على :

- الحوار
- التفاهم
- الثقة
- التعزيز
- الصدق
- الاهتمام بالرأي
- اعطاء المجال والفرصة

– احترام استقلالية الطفل

– القدوة

– التقليل بصورة كبيرة جداً من العقاب الجسدي

بهذا الاسلوب يستطيع الوالدان بناء "سقف استجابه" منخفض لدى الطفل الامر الذي يساعد الآخرين على التعامل معه.

اما اذا استخدم الوالدان الاسلوب الذي يعتمد على:

- العقاب الجسدي المتكرر
- التقليل من شأن الطفل
- عدم احترام استقلاليته
- التخويف المتكرر
- التذبذب في المعامله
- كثرة الاوامر والنواهي

هذا الاسلوب يكون لدى الطفل "سقف استجابة" عالي الامر الذي يصعب من عملية التعامل معه.

ثانياً: على كل من يتعامل مع الطفل ويرغب في تخفيض السلوك العنيف لديه, ان يبدأ تدريجياً بالعمل على خفض "سقف الاستجابة" لدى الطفل, نعطي مثالاً لنوضح الفكرة:

احمد تلميذ في الصف الثالث, عنيف جداً وعنيد وبصعوبة يرضخ لاوامر المعلم. يقول المعلم :

- هذا التلميذ يستجيب فقط بالعقاب الجسدي (الضرب), لقد حاولت معه كثيراً وبشتى الطرق ... ولكن الامر لم يجدي نفعاً ... هو لا يسمع الكلام بدون استخدام العصا...

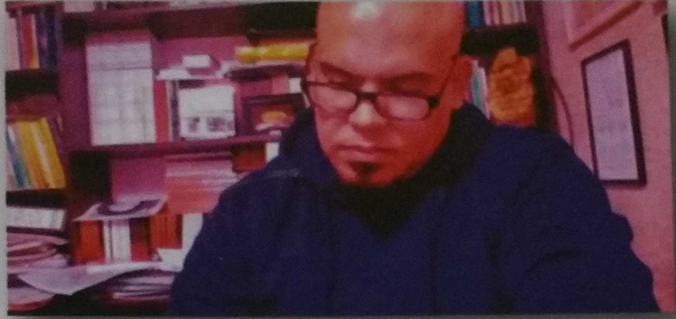
في مثل هذه الحالات تعالج النظريات التقليدية السلوك العنيف بالعديد من الطرق, تعديل السلوك ببناء خطط تعزيزية, النظرية السلوكية , تدخلات تربوية وذلك بتغيير سلوك المعلم تجاه التلميذ وغيرها, هذه النظريات والاساليب المختلفة تطلب اولاً من المعلم ترك العقاب الجسدي, ويمنع كذلك القانون استخدام العقاب الجسدي في العملية التربوية. هذا المنع احدث فجوة كبيرة في الاسلوب التربوي المستخدم في الاسرة والمجتمع والذي درج استخدامه منذ زمن بعيد مما احدث بلبلة لدى المعلمين والتلاميذ, فنجد ان المعلم يقف امام معضلة عدم الاصغاء له في الصف وذهاب هيبته وقدرته على السيطرة , ومن ناحية اخرى نجد التلاميذ قد فقدوا الاسلوب الذي يعرفونه وتعلموه منذ ولادتهم في ضبط سلوكهم الامر الذي سمح لهم بالتواجد في مساحة فضائية كبيرة توحي بالتوهان.

هذه الامور مجتمعة صعبت من عملية التعامل مع العنف في المجتمع وفي المدارس. لذا اعتقد ان نظريو "السقف" يمكنها ان تكون مجدية في عملية تخفيض العنف وخاصة المدرسي.

ففي المثال اعلاه, نظرية "السقف" لا تمنع من استخدام العقاب الجسدي, بل تسمح باستخدامه ولكن بحذر شديد وعقلانية. وذلك كي لا تسلب المعلم والتلميذ اسلوب متعارف عليه في المجتمع له نتائجه الايجابية والسلبية. وتضع النظرية في صميم اهتمامها سعي المعلم بالاشتراك مع الاسرة بخفض "سقف الاستجابة" لدى هذا التلميذ

وذلك بالتدرج. أي يمكن للمعلم الاستمرار في استخدام الاسلوب المتبع في المجتمع مع السعي الى تقليله تدريجياً, والاجتهاد بالتعاون مع الوالدين لخفض "سقف استجابة" التلميذ, الامر الذي سيساعد التلميذ نفسه على اكتساب مهارات جديدة تعينه على ضبط سلوكه, هذا الامر بحاجة الى التأني والصبر, وفي اعتقدي سيجدي نفعاً, هذا والله ولي التوفيق.

تم بحمد اللّه



د. بديع عبد العزيز القشاعلة

المؤهلات العلمية:

1998- درجة البكالوريوس في علم النفس العام من جامعة سانت بطرس بورغ الحكومية – روسيا الاتحادية.

2000- درجة الماجستير في علم النفس الكلينيكي من جامعة سانت بطرس بورغ الحكومية – روسيا الاتحادية.

2006- درجة الدكتوراه في علم النفس الطبي والسيكو فيسيولوجي من جامعة سانت بطرس بورغ الحكومية – روسيا الاتحادية.

السيرة المهنية:

اخصائي نفسي, مدير مركز السيكولوجي في رهط.

استاذ التربية الخاصة في الكلية الاكاديمية للتربية على اسم "كي" بئر السبع.

استاذ في الكلية الاكاديمية للتربية "أحفا".

رئيس قسم التربية الخاصة سابقاً في الكلية الاكاديمية للتربية على اسم "كي" بئر السبع.

مؤلفاته:

جولة في علم النفس 2005

زوايا اسلامية من وجهة نظر سيكولوجية 2008

السائر في الدرب 2013

طفلي مشكلجي 2013

صخب كلمات , 2013 (ديوان شعر)

عنفوان الهمس, 2013 (ديوان شعر)

المرشد للتربية الخاصة 2015

طباعة وتوزيع: أ. دار الهدى ع. زحالقة



عبد زحالقة

خليوي: 050-5252917 هاتف: 04-6353439

خليوي: 050-5708835

E.mail: daralhoda.1@gmail.com